



@Tafsircenter

جهود العلماء في الكشف عن
مقاصد القرآن الكريم وموضوعاته
من القرن الأول الهجري
إلى القرن التاسع الهجري
عرض وتأصيل وتحليل

د. آدم بللو

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies





المعلومات والآراء المقدمة هي للكتاب، ولا تعبر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

المقدمة:

الحمد لله العظيم المنان الذي أنزل إلينا الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى
ورحمة لأولي الألباب، والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه
أجمعين، وبعد:

لقد جاءت نصوص من القرآن والسُّنة لبيان الهدف والقصد من نزول هذا
الكتاب الكريم، وقد بدأت الإشارات الحثيثة إلى تقسيم القرآن موضوعياً
ومقاصدياً في السُّنة النبوية، لمعرفة ما يُهتم به عند تدبر القرآن، وطلب معرفة ما
يدعو إليه من هدايات وإرشادات إلهية، وقد اتخذ بعض التابعين من هذه
الأحاديث منطلقاً ينطلقون منه إلى أن في القرآن نفسه سوراً وآياتٍ دالةً على
مقاصده وغاياته، فمن هؤلاء التابعين أبو إدريس الخولاني.

واستمرَّ العلماء في القرون المفضَّلة يستخرجون من نصوص السُّنة مقاصد
القرآن وأقسامه ومعانيه، وكذلك استخرجوا مقاصد القرآن وأقسامه من آيات
قرآنية جامعة، وواصل العلماء جهودهم في استخراج هذه المقاصد
والموضوعات القرآنية المهمّة، حتى بلغ هذا الإمام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)،
فدخل هذا الباب الذي فتحه من سبقه، وغاص في أعماق بحار القرآن،
واستخرج جواهره ودرره في كتابه: (جواهر القرآن ودرره)، واستفاد من جهوده
أغلب من تحدّث عن مقاصد القرآن وموضوعاته، واستدركوا عليه ما فاته،

وأيّدوه في رؤيته الهادفة إلى استخلاص ما انطوى عليه القرآن من العلوم والمقاصد والمعاني الجامعة، وممن تابعه في ذلك عبد السلام بن برّجان الإشبيلي (ت: ٥٣٥هـ) في تفسيره المسمى بـ (تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم)، وفي هذا القرن نفسه طلع القاضي أبو بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ) بكتابه الذي سمّاه: (قانون التأويل)، فرأى إعادة النظر في تقسيم مقاصد القرآن إلى ستة مقاصد كما ذهب إليه الغزالي، أو إلى سبعة مقاصد كما ذهب إليه ابن برّجان، فخرج برؤية دمج تلك الأعداد وعناصرها وجعلها في ثلاثة مقاصد جامعة، وهي في نظره لا تتجاوز: التوحيد، والتذكير، والأحكام، وقد اهتم ابن العربي في هذا المؤلّف ببيان ما يتعلّق بفهم مقاصد القرآن ومعانيه، ردّاً على الباطنية الذين يقولون بوجود المعاني الباطنة للقرآن مع أنها منافية لمقاصد هذا الكتاب وغاياته.

ويمكن اعتبار القرن الخامس والسادس الهجريّين عصر التأسيس والبناء لمقاصد القرآن وموضوعاته الأساسية، على أيدي هؤلاء الأئمة الثلاثة: (الغزالي، وعبد السلام بن برّجان، والقاضي أبي بكر بن العربي)، وبهذا يمكن القول بأنّ البحث في مقاصد القرآن نشأ قبل البحث في مقاصد الشريعة على أيدي الأصوليين، والدليل على هذا التحقيق هو أنه لا يوجد في هذين القرنين كتاباً مستقلاً أو شبه مستقلّ في علم مقاصد الشريعة كما يوجد ذلك في علم مقاصد القرآن وموضوعاته الأساسية.

ومما لم يتنبّه له أكثر مَنْ بحثوا عن مقاصد الشريعة ممّن اشتُهر بذلك: كسلطان العلماء العز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، وابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، والإمام أبي إسحاق الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)؛ أنهم تطرقوا إلى مقاصد القرآن جنباً إلى جنب مع تطرّقهم إلى مقاصد الشريعة، إلّا أنّ مقاصد الباحثين في طلب مباحث علم مقاصد الشريعة أغفلهم عن استكشاف مباحث مقاصد القرآن أثناء استكشافهم لمقاصد الشريعة، وقد استطاع الباحث -كما سيأتي- أن يخرج بمسائل جليّة ومهمّة في مقاصد القرآن من مؤلّفات هؤلاء الأئمة؛ ككتاب: (قواعد الأحكام في مصالح الأنام)، وفي خاتمة كتاب العز بن عبد السلام المسمّى بـ(الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز)، الذي حُقّق منه ما يتعلّق بمقاصد القرآن باسم: (نُبذ من مقاصد الكتاب العزيز)، و(مجموع الفتاوى لابن تيمية)، وكتاب: (جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن: «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن) لشيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً، وكتاب: (الموافقات للشاطبي، وكتاب: (مدارج السالكين)، وكتاب: (التيان في أقسام القرآن)، وكتاب: (زاد المعاد في هدي خير العباد)، وكتاب: (بدائع الفوائد)، ومؤلّفات أخرى لابن القيم، كما سيرى ذلك القارئ في سطور هذا البحث ومباحثه.

ويمكن أن نسمّي القرن السابع والثامن الهجريّين بعصر النضج والتطوّر لمقاصد القرآن وموضوعاته الأساسية على أيدي بعض العلماء والمفسّرين

البارزين في هذا العلم، وهم: فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، والعز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ)، وابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، وابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ)، وابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، والشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، والإمام البقاعي (ت: ٨٨٥هـ).

وبعد جهود هؤلاء العلماء المتقدمين الذين سبق ذكرهم واصل العلماء الذين جاؤوا بعدهم الجهود في بيان مقاصد القرآن وموضوعاته الأساسية، وعلى رأسهم: ولي الله الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ)، والإمام الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، وعبد الله بن فودي (ت: ١٢٥٣هـ)، وسيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، وأخوه محمد قطب (ت: ١٣٩٣هـ)، وابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) الذي أشهر هذا العلم ودعا إلى ضرورة معرفة المفسر بمقاصد القرآن قبل الخوض في طلب التفسير، وذكر أن معرفة مقاصد القرآن هي أهم غرض ينبغي أن يجعله المفسرون لكتاب الله على اختلاف طرقهم في التفسير نصب أعينهم. وعلماء آخرون غير من سبق ذكر اسمه ممن لا يسمح الوقت بتناول جهودهم في استكشاف مقاصد القرآن.

إشكالية البحث:

نظرًا لافتقار ساحة البحث في مقاصد القرآن لجهودٍ يجمع حصاد اشتغال العلماء على مرّ القرون في تلكم القضية ويرتبه ويحلّله ويبرز ما بينه من نقاط اشتراك وافتراق، فإن هناك عددًا من الإشكاليات الموجودة في باب مقاصد القرآن، التي يسعى هذا البحث لحلها:

- ١- معرفة نشأة وبداية مناقشة موضوع المقاصد القرآنية، ومتى بدأ الاهتمام بهذا الموضوع؟
- ٢- من الذين اهتموا ببيان مقاصد القرآن الكريم وموضوعاته من العلماء؟ وما مناهجهم في تناولها؟
- ٣- ما أهم المؤلفات والمصنفات والبحوث التي اهتمت ببيان مقاصد القرآن على مرّ القرون في التفسير وأصوله وعلوم القرآن والحديث والعقيدة وغيرها؟
- ٤- هل اتفق العلماء الذين تكلموا عن مقاصد القرآن على مقاصد وموضوعات معيّنة للقرآن، أم اختلفوا في الكشف عنها وبيانها؟
- ٥- ما الأسس التي ينطلق منها لمعرفة كيفية الكشف عن مقاصد القرآن التي نعرفها من خلال جهود العلماء في بيان مقاصد القرآن وموضوعاته؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة أمور؛ أهمها:

- ١- معرفة مقاصد القرآن المختلفة حسب نظر علماء الإسلام من المفسرين وغيرهم.
- ٢- جمع جهود العلماء في الكلام عن مقاصد القرآن من عهد التابعين إلى العصر الحديث، وبيان أفكارهم في هذا الموضوع القرآني المهم.
- ٣- التنويه ببعض الجهود التي دققت في الحديث عن مقاصد القرآن؛ كجهود ابن بَرَّجان الإشبيلي، والغزالي، وابن تيمية، والشاطبي، والشوكاني، وابن عاشور.
- ٤- بيان أوجه الاختلاف والاتفاق في مسائل علم مقاصد القرآن ومعرفة الفرق بينه وبين علم مقاصد الشريعة أو التفسير الموضوعي، وقد كثر الخلط بين هذه المصطلحات.

سبب اختيار الموضوع:

إنَّ موضوع مقاصد القرآن مع شديد أهميته وحاجة الباحثين وغيرهم إليه، لا يوجد مَنْ خصَّصه ببحث محرَّر وموسَّع -حسب علم الباحث- وإنما توجد بحوثٌ مفردة تتحدَّث عن جهود آحاد العلماء الذين تكلموا عن المقاصد؛ إمَّا من المتقدمين كأبي حامد الغزالي، وإمَّا من المتأخرين كابن عاشور وغيرهم،

وبعض هذه البحوث غير محرّرة لا تجد فيها البحث الشامل الذي يدقّق في الكشف عن منهج هؤلاء العلماء في استخراج مقاصد القرآن وموضوعاته، وقد وجد الباحث كثيراً من العلماء - قديماً وحديثاً - الذين تكلموا عن مقاصد القرآن لكن لم تتم الإشارة إلى جهودهم في هذا العلم، فضلاً عن كتابة بحث مستقلّ عن جهودهم، وعلى رأسهم: أبو بكر بن العربي، وابن برّجان الإشيلي، وفخر الدين الرازي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، والإمام الشاطبي، والإمام الشوكاني. فهذا هو سبب اختيار الباحث لهذا الموضوع، وصرف جهوده لجمع ما لم يُجمّع من جهود العلماء في مقاصد القرآن، وبيان منهج العلماء في الكشف عنها.

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع أيضاً: أنّ العلماء الذين كُتِبَ عن جهودهم في مقاصد القرآن في بحوث المؤتمرات والمجلات العلمية، لم تُتناول جهودهم كما ينبغي، بل تجد أكثر هذه البحوث لا تشمل جوانب كثيرة في موضوع مقاصد القرآن وموضوعاته عند العالم الذي خُصّص له البحث؛ فابن عاشور مثلاً، تكلم عن مقاصد القرآن في (المقدمة الرابعة) من تفسيره (التحرير والتنوير) التي عنوانها بـ (فيما يحقّ أن يكون غرض المفسّر)، لكن قد وجد الباحث كلاماً وفوائد أخرى في مقاصد القرآن من خلال تفسير بعض السور والآيات، مما لم تُشر إليها البحوث التي تحدّثت عن جهود ابن عاشور في

مقاصد القرآن، وفي الجملة فإنَّ سبب اختيار هذا البحث هو سدّ الفراغات الموجودة في الجهود المبذولة تجاه المقاصد القرآنية.

تقسيمات البحث:

نظراً لطول هذا البحث وتناوله لجهود كثير من العلماء الذين تحدثوا عن المقاصد على مرّ القرون، وتوسّعه في كثير من مباحث مقاصد القرآن دعت الضرورة إلى تقسيم هذا البحث إلى بحثين مستقلّين يتبع أحدهما الآخر، وكذلك من أسباب تقسيم عرض جهود العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن هو وجود تمايزات ومفارقات كثيرة في تناول المقاصد بين العلماء المتقدمين والمتأخرين، وسيتحدث الباحث -إن شاء الله- عن هذه التمايزات والمفارقات في مقدمة البحث الثاني الذي سيشمل الحديث فيه جهود الإمام الدهلوي والشوكاني وابن عاشور وسيد قطب وغيرهم من العلماء الذين أتاحَت الفرصةُ عرضَ جهودهم.

وقد قسّم الباحثُ البحثَ الأول الذي يتناول جهود العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجريين إلى: مقدمة، ومدخل، ومبحثين، وخاتمة.

فأما المقدمة فكانت لبيان فكرة البحث وإشكاليته وأهدافه... إلخ. وأما المدخل ففيه التعريف بمفهوم مقاصد القرآن، والفرق بينه وبين مقاصد الشريعة وموضوعات القرآن.

وقد جاءت المباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: العلماء الذين لهم مشاركة أو إشارات في موضوع مقاصد القرآن وموضوعاته.

المطلب الأول: جهود أبي إدريس الخولاني.

المطلب الثاني: جهود أبي العباس ابن سريج.

المطلب الثالث: جهود ابن جرير الطبري.

المبحث الثاني: العلماء الذين أَلَّفُوا أو بحثوا بتوسّع في مقاصد القرآن وموضوعاته.

المطلب الأول: جهود أبي حامد الغزالي.

المطلب الثاني: جهود ابن برّجان الإشبيلي.

المطلب الثالث: جهود القاضي ابن العربي المعافري.

المطلب الرابع: جهود فخر الدين الرازي.

المطلب الخامس: جهود العز بن عبد السلام.

المطلب السادس: جهود الإمام البيضاوي.

المطلب السابع: جهود شيخ الإسلام ابن تيمية.

المطلب الثامن: جهود ابن جزي الكلبي.

المطلب التاسع: جهود ابن قيم الجوزية.

المطلب العاشر: جهود أبي إسحاق الشاطبي.

المطلب الحادي عشر: جهود الإمام البقاعي.

وأما الخاتمة فذكرنا فيها خلاصات البحث وأهم نتائجه.

والله أسأل أن يوفقنا إلى طلب رضاه والإخلاص في العلم والعمل، ويقوينا
على بذل مزيد من الخدمة والعمل في تحقيق كتب ومؤلفات أخرى تُسهم في
النهوض بالأمة إلى برّ الأمان ودار السلام.

مدخل : في التعريف بمفهوم مقاصد القرآن والفرق بينه وبين المصطلحات المتصلة به :

في هذا المدخل، سيتم التأصيل فيه للمصطلحات المتعلقة بهذا البحث وتأصيل الفرق بينها، وهي: مصطلح (مقاصد القرآن)، و(موضوعات القرآن) أو (التفسير الموضوعي)، و(مقاصد الشريعة). والتأصيل لهذه المصطلحات يكون ببيان أصلها في اللغة والاصطلاح، وبيان ما تتميز به من خصائص، والتعرض لنشأة استعمالها عند المتخصصين من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين، ويتعرض الباحث في هذا المدخل لبيان معنى الشريعة عند العلماء بمفهومها الضيق والواسع، وعلاقة ذلك ببيان الفرق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة، وكذلك يتم فيه التفريق بين ما هو وسيلة إلى بيان مقاصد القرآن، وبين ما هو مقصد بحد ذاته، ويذكر كيفية تعامل العلماء مع موضوعات القرآن ومقاصده وطرق التعبير عنها.

أولاً: مفهوم مقاصد القرآن:

إنّ هذا المفهوم (مقاصد القرآن) يتبين المراد منه بما يضاف إليه؛ ففي الغالب يضاف إلى الشريعة، وهو المشهور، كما يضاف إلى القرآن، ونقتصر هنا على ذكر مفهوم المقاصد مضافة إلى القرآن الكريم اصطلاحياً؛ لأنّ مفهومه مضافاً إلى الشريعة مشهور ومعروف، واجتهد في تعريفه بعض المتقدمين، وكثير من المتأخرين، ومن التعريفات التي عُرِّفت (مقاصد القرآن) بها اصطلاحاً:

أ- عَرَّفَ العز بن عبد السلام مقاصد القرآن، بقوله: «معظم مقاصد القرآن: الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفساد وأسبابها»^(١). وهذا التعريف لمقاصد القرآن هو نفس تعريف مقاصد الشريعة عند علماء المقاصد.

ب- وعُرِّفَت مقاصد القرآن أيضًا بأنها: «المقاصد التي دارت عليها سور القرآن الكريم وآياته تعريفًا برسالة الإسلام، وتحقيقًا لمنهج في هداية البشر»^(٢). وهذا التعريف مبهم، بل هو إحالة على مبهم؛ فقد يقال: ما هذه المقاصد التي دارت عليها سور القرآن وآياته؟

ج- وعُرِّفَت كذلك بأنها: «الموضوعات الأصلية والرئيسة التي يدور حولها القرآن، وما يتفرع عنها من فروع، مع مراعاة النظر في الحُكْم والغايات التي أرادها الشارع من ذكر هذه الأمور»^(٣).

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، القاهرة: دار البيان العربي، ط ١، سنة: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٢ م، (١/١٠).

(٢) مقاصد القرآن ومحاوره عند المتقدمين والمتأخرين، إعداد الدكتور عيسى بو عكاز. مجلة الإحياء، العدد: ٢٠/ ٢٠١٧ م، ص ٨٣-٨٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٠.

وهذا التعريف لمقاصد القرآن فيه خلط بين موضوعات القرآن الكريم وبين مقاصد القرآن الكريم؛ فالموضوعات: محاور، والمقاصد: أهداف وغايات.

فإذا كانت هذه التعريفات الثلاثة السابقة عليها ملاحظات واستدراكات في صلاحية كونها تعريفات لمقاصد القرآن. فما التعريف الأقرب والأصلح لمقاصد القرآن؟

وهنا أذكر تعريفاً لمقاصد القرآن ذكره الشاطبي في (الموافقات)، ولم أرَ أحداً من الباحثين - حسب اطلاعتي - ذكر هذا التعريف. يقول الشاطبي وهو يتحدث عن مقاصد القرآن: «وكل ما كان من المعاني التي تقتضي تحقيق المخاطب بوصف العبودية، والإقرار لله بالربوبية؛ فذلك هو الباطن المراد [مقاصد القرآن]، والمقصود الذي أنزل القرآن لأجله»^(١).

وهذا التعريف أصلٌ ترجع إليه جميع المقاصد القرآنية التي ذكرها العلماء من قبل الشاطبي ومن بعده، فالإمام الغزالي جمع مقاصد القرآن الستة في دعوة العباد إلى العبودية والربوبية، فقال: «سر القرآن، ولبابه الأصفى، ومقصده الأقصى: دعوة العباد إلى الجبار الأعلى، رب الآخرة والأولى، خالق

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٢١٨/٤).

السموات العلّٰى، والأرضين السفلى، وما بينهما وما تحت الثرى»^(١). وكذلك فعل ابن جزى في مقدمة تفسيره: (التسهيل لعلوم التنزيل)، عندما تحدّث عن المعاني والعلوم التي تضمّنها القرآن، حيث ذكر أنه المقصود بالقرآن كلّهُ، هو دعوة الخلق إلى عبادة الله، وهي العبودية^(٢).

ثانياً: مفهوم موضوعات القرآن:

وأما مصطلح (موضوعات القرآن)، ومصطلح (التفسير الموضوعي للقرآن)، فحديث النشأة بين الباحثين المعاصرين، وإن كان معناه قديماً ومستعملاً في بعض كتب التفسير وغيرها، بقلّة أو بكثرة، فاستحضار الآيات المتعلقة بموضوع واحد، والنظر في مدلولاتها مجتمعة، أو إيراد الآية أو الآيات ذات الصلة بالآية المفسّرة؛ منهج معمول به عند المتقدّمين، وهو الذي سمّاه المعاصرون بـ(التفسير الموضوعي)^(٣).

وأما موضوعات القرآن فلم يعرفه العلماء بهذه التسمية؛ لأنهم لم يفرّقوا بين موضوعات القرآن ومقاصده، وهذا منشأ الغموض والخلط بين مقاصد

(١) جواهر القرآن ودرره، الغزالي، ص ٢٣.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى، (١٤/١).

(٣) انظر: التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان، عبد الجليل عبد الرحيم علي، نقلاً من: التجديد الأصولي، جماعة من العلماء بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد الريسوني، ص ١٦٢.

القرآن وموضوعاته؛ وإنما نجد تعريف مصطلح (التفسير الموضوعي)، وهو الذي كتب فيه المتقدمون والباحثون في الآونة المتأخرة، ولم يكتب المتقدمون في (التفسير الموضوعي) بمعناه الاصطلاحي، وإنما كتبوا في بعض الموضوعات المفردة للقرآن، مثل: (أقسام القرآن)، و(أمثال القرآن)، و(قصص القرآن)، و(أحكام القرآن)، و(مفردات القرآن) أو (معاني القرآن)... إلخ. وكذلك المعاصرون إنما يكتبون في مثل: (المرأة في القرآن)، و(الاقتصاد في القرآن الكريم)، و(العلم في القرآن الكريم)، و(العقل في القرآن الكريم)، و(الإنسان في القرآن الكريم)... إلخ.

ويعرّف التفسير الموضوعي بأنه: «علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة؛ لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع»^(١).

(١) هذا تعريف الدكتور عبد الستار فتح الله، في كتابه: المدخل إلى التفسير الموضوعي، انظر: أساسيات منهجية للتفسير الموضوعي، محمد عبد اللطيف، مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (واقع وآفاق)، جامعة الشارقة، ٢٠١٠م. ص ٦.

وعُرف أيضًا بأنه: «علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر»^(١).

وقد تأخرت العناية بموضوعات القرآن وموضوعات سوره، ولم ترد فيه كتابات موضوعية سوى شذرات متفرقة في كتابات بعضهم، وهذا الموضوع جدير بالعناية، والكتابات المعاصرة عنه في تزايد، وهو يفيد الدارسين في جمع الموضوعات التي تحدّث عنها القرآن الكريم، والكشف عن مقاصده وغاياته، وكيفية تطوّقه لها، وكيفية معالجته لكثير من هذه الموضوعات، ومن الدراسات المفيدة في هذا الموضوع من كتابات المعاصرين كتاب محمد قطب (دراسات قرآنية)، فإنّه تحدّث حديثاً مستفيضاً عن موضوعات القرآن في عهده المكي والمدني^(٢).

(١) وهذا تعريف الدكتور مصطفى مسلم، في كتابه: مباحث في التفسير الموضوعي، انظر: أساسيات منهجية للتفسير الموضوعي، محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي، المرجع السابق، ص ٦. وانظر أيضًا: مقاصد القرآن الكريم وأهميتها في تحديد الموضوع القرآني؛ دراسة نصية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور عبد الله الخطيب، جامعة الشارقة، بحث بدون معلومات النشر، ص ٢-٣.

(٢) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص ٢٨٣.

ثالثاً: الفرق بين مقاصد القرآن وموضوعات القرآن:

فالناظر إلى التعريفات السابقة لمقاصد القرآن وموضوعات القرآن أو التفسير الموضوعي اصطلاحياً، سوف يرى العلاقة القوية والصلة الوطيدة بين (مقاصد القرآن) وموضوعات القرآن، أو علم (التفسير الموضوعي) المنشق من علمي التفسير وعلوم القرآن، وأنا أرى أن يُجعل علم مقاصد القرآن على رأس مباحث علم التفسير الموضوعي، والدليل على هذا الرأي الذي أذهب إليه: هو أن بعض المباحث الكبرى في علم مقاصد القرآن، مثل: القصص، والأحكام، هي أيضاً من مباحث التفسير الموضوعي، فالذي يبحث عن مقاصد القرآن فهو يبحث عن موضوعات السور والآيات ليعرف بها مقاصد هذا الكتاب العزيز، فموضوعات القرآن هي الطريق إلى معرفة مقاصده، فلا تتم معرفة المقاصد إلا عن طريق معرفة موضوعات سور القرآن وآياته، فنتيجة النظرة الشاملة إلى موضوعات القرآن في سور وآياته هي الوصول إلى مقاصده وغاياته، وقد أشار إلى هذه النكته الأستاذ الدكتور مساعد بن سليمان الطيار، والأستاذ الدكتور عبد الله الخطيب^(١).

(١) انظر: المحرر في علوم القرآن، أ.د. مساعد بن سليمان الطيار، ص ٢١٢؛ ومقاصد القرآن الكريم وأهميتها في تحديد الموضوع القرآني؛ دراسة نصية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم، أ.د. عبد الله الخطيب، جامعة الشارقة، بحث بدون معلومات النشر، ص ١.

فليس كلّ موضوع قرآني يدخل في مقاصد القرآن، ومعنى هذا: أنّ موضوعات القرآن أعمّ من مقاصد القرآن، ومقاصد القرآن جزء مهم من موضوعات القرآن، بل هي أول موضوعاته.

وتأصيل الفرق بين مقاصد القرآن وموضوعات القرآن ينبغي أن يؤسّس على قواعد علمية ونظرية ومنطقية على النحو الآتي:

- فكلّ موضوع قرآني جاء لتكميل الشخصية الإنسانية بذاته بغير واسطة فهو من مقاصد القرآن، وهو موضوع مقاصدي، مثل: (علم أصول الإيمان)، و(علم الشرائع والأحكام)، و(علم الأخلاق والآداب).

- وكلّ موضوع قرآني يتوصل به إلى بيان تلك المقاصد، فهو من موضوعات القرآن، وليس من المقاصد، بل هو من الوسائل الفنيّة، مثل: (القصص)، و(الأمثال)، و(القسم)، و(الجدل)، و(الحوار)، و(الوصف) بشتّى أنواعه وموضوعاته؛ و(التكرار) في القصص والأحكام الاعتقادية والعملية، فهذه وسائل فنيّة لتوصيل وعرض المقاصد الأساسية للقرآن الكريم؛ فالتوحيد مثلاً: مقصد أساس وأوّلّي من مقاصد القرآن، ويسلك القرآن لإبلاغ هذا المقصد عدّة وسائل فنية، منها: القصص كما في السور: (الأعراف)، و(هود)، والقسم كما في أول (الصافات)، والجدل والحوار كما في السور: (الأنعام)، و(يونس)، و(الرعد)، وغيرها.

ومما يحسن التنبيه عليه هنا أن أغلب من تحدّث عن مقاصد القرآن وموضوعاته لم يفرّقوا بين ما هو وسيلة لبيان المقاصد القرآنية - كما سبق تفصيل ذلك - وبين ما هو مقصد بحدّ ذاته، فكثير من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين؛ كالإمام الغزالي، وفخر الدين الرازي، والعز بن عبد السلام، وغيرهم، ذكروا الأمثال والقصص والتأكيد، من المقاصد وهي ليست مقاصد بحد ذاتها كما سبق بيان ذلك ^(١).

وأظنّ بهذا يتضح الفرق بين بعض موضوعات القرآن ومقاصد القرآن؛ فبين الأمرين عموم وخصوص من وجه، والله تعالى أعلم وأحكم.

ومع بيان الفرق بين موضوعات القرآن ومقاصده، فقد استخدم بعض من تكلم عن مقاصد القرآن من العلماء والمفسرين بعض المصطلحات بمعنى مقاصد القرآن، مثل: (معاني القرآن)، و(موضوعات القرآن)، و(علوم القرآن)، و(أقسام القرآن)، و(مطالب القرآن)، و(محااور القرآن)، و(أغراض القرآن)، و(أهداف القرآن)... إلخ، إلّا أن كثرة استعمال مصطلح (مقاصد القرآن) وقوة دلالته على المعنى الاصطلاحي لهذا العلم عند أهل هذا الشأن يجعل استعماله أفضل من استعمال غيره من الألفاظ والمصطلحات السابقة.

(١) انظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص ١٤٣.

رابعاً: الفرق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة:

إنَّ الكلام عن الفرق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة في غاية الأهمية؛ وذلك لأنَّ العلماء والباحثين المعاصرين اختلفوا في هذه المسألة، فمنهم من يرى الفرق بين المصطلحين، وهم الأكثر. ومنهم من لا يرى الفرق بينهما، والباحث يرى أنَّ في كثير من بيان العلماء للاختلاف بين المصطلحين نوعاً من التكلّف؛ لأنَّ الشريعة والقرآن لا يمكن التفريق بينهما لشدة اتصالهما، إلا أنَّ محاولة التفريق عند من قام بذلك من الباحثين هو أهمية عدم الخلط بين مصطلحات العلوم والفنون والتخصصات، وإلا فالحقيقة التي يصعب إنكارها أنَّ الشريعة مهما كان مصدرها سواء كان قرآنًا أو سُنَّةً أو إجماعاً أو قياساً فهو راجع إلى القرآن.

فالحاصل: أنَّ هناك تطابقاً تاماً بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة، ولا يتصوّر مقصد شرعي لا يكون من مقاصد القرآن، وكذلك العكس، لا يتصوّر مقصد قرآني لا يكون من مقاصد الشريعة، إلا أنَّ تصرفات علماء الأصول والمقاصد قديماً وحديثاً يجعلنا نفرّق بين المصطلحين: مقاصد القرآن، ومقاصد الشريعة، من حيث مباحثهما وكيفية تناولهما على الصعيد العلمي والدراسي؛ لأنَّ الأصوليين والمقاصديين يضيّقون في بعض المسائل التي تحدثوا عنها في حفظ المقاصد، بخلاف من تحدثوا عن مقاصد القرآن، كما في معنى حفظ العقل الذي هو أحد المقاصد الكلية الضرورية للشريعة، ومما لا

شكّ فيه أن كلّ ما هو مقصد للشرعية فهو مقصد للقرآن، وأصله في القرآن، غير أن بيان الأصوليين وعلماء المقاصد لحفظ العقل مثلاً، وكونه في تحريم المسكرات وتشريع العقوبة عليها كلامٌ ضيقٌ؛ لهذا المفهوم.

وإذا رجعنا إلى القرآن نجد أنّه حَفِظَ العقلَ بدعوته إلى النظر والاعتبار والتفكير، وهذه الأمور الثلاثة هي التي جعلها ابن برّجان أحد مقاصد القرآن السبعة التي ذكرها - كما سيأتي ذكر ذلك في ذكر جهود ابن برّجان - فهنا فرقٌ كبيرٌ بين تناول علماء مقاصد القرآن لحفظ العقل وتناول الأصوليين وعلماء مقاصد الشريعة له.

وقد تنبّه إلى هذا أحدُ الباحثين وهو الدكتور حسن القصاب، حيث تحدّث عن هذا حديثاً مستفيضاً في بحثه الذي نُشر في كتاب مؤتمر: (مقاصد القرآن لبناء الحضارة والعمران) بعنوان: (خطاب التكليف من ضيق مقاصد الشريعة إلى سعة مقاصد القرآن)، فقد حاول فيه بيان التفريق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة، وكيفية تناول العلماء لمباحثهما ومسائلهما^(١).

(١) انظر: خطاب التكليف من ضيق مقاصد الشريعة إلى سعة مقاصد القرآن، إسلامية المعرفة، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، عدد خاص عن مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران، الدكتور حسن القصاب، السنة الثالثة والعشرون، سنة: ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، العدد ٨٩، ص ١٨.

ومما كثر - عند من يفرّق بين المصطلحين - قصر الشريعة على الأحكام، وفق المفهوم الذي تُقابل به العقيدة؛ وبذلك تغدو الشريعة مقصداً واحداً من مقاصد القرآن، وهو مقصد التشريع أو الشريعة أو الأحكام.

إلا أن قصر الشريعة على الأحكام العملية دون الأعمال الاعتقادية فيه نظر؛ ذلك لأن حفظ الدين هو أول مقاصد الشريعة، وحتى ابن عاشور نجده يجعل حفظ الدين من مقاصد القرآن، مع أن أكثر العلماء يجعلون حفظ الدين من مقاصد الشريعة، يقول ابن عاشور: «فمراد الله من كتابه هو بيان تصارييف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين، وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطاباً بيناً، وتعبّدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه، فقال: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]»^(١).

فعلى مقتضى ما سبق بيانه من إطلاق (الشريعة) على مفهومها الأوسع والأعم، يمكن أن يقال: إن مقاصد القرآن هي نفس مقاصد الشريعة لا تزيد ولا تنقص؛ ولأن الأخلاق والآداب أيضاً تدخل في مقاصد الشريعة، وهي من الموضوعات المقاصدية للقرآن.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٣٩).

ويظهر الفرق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة من جهة، إذا قيل بأنَّ القرآن الكريم مصدر من مصادر الشريعة، وهو أولها وأهمها؛ لأنَّ مصادر الشرع تشمل أشياء، أهمها: القرآن الكريم، والسُّنة النبوية، والإجماع، والقياس، ثم ما تفرَّع من هذه من المصادر الثانوية؛ فعلى هذا يمكن القول بأنَّ مقاصد الشريعة أعمّ من مقاصد القرآن، أو يقال: إنَّ مقاصد القرآن هي نفس مقاصد الشريعة! لأنَّ جميع ما ذكره من مقاصد الشريعة موجودة في القرآن، وهو أول دليل ومصدر لها، ولا يتصوّر أن يوجد مقصد شرعي معتبر ثم لا يوجد أصله ودليله من القرآن.

المبحث الأول: العلماء الذين لهم مشاركة أو إشارات في موضوع مقاصد القرآن وموضوعاته:

إنَّ مقاصد القرآن وموضوعاته وما يتعلَّق بهما من المسائل قد طرَّقه العلماء المتقدِّمون في مقدمات تفاسيرهم، وفي أثناء تفسيرهم للآيات التي جمعت المعاني القرآنية المقصودة، وفي مصنفات مفردة كما صنع الإمام الغزالي، كما تناول مقاصد القرآن وموضوعاته العلماء المتأخرون في مقدمات تفاسيرهم وفي أثناء بيان الآيات القرآنية وتفسيرها، وفي دراسات مستقلة عن هذا الموضوع، وفي هذا البحث سيتناول الباحث جهودَ العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن وموضوعاته من القرن الأول الهجري إلى القرن التاسع الهجري، وقد جعل الباحثُ لجهود كلِّ عالم مطلبًا يتحدَّث فيه عن جهوده في هذا الميدان؛ وقد اشتمل المبحث الأول من هذا البحث عرضَ جهود هؤلاء العلماء: أبي إدريس الخولاني (ت: ٨٠هـ)، وأبي العباس بن سريج (ت: ٣٠٦هـ)، ومحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ). وهؤلاء قد تحدثوا بشكلٍ ضيقٍ عن المقاصد وأشاروا إلى بعض مباحثها؛ لذا خصَّص الباحث جهودهم بمبحث خاص حتى يفرِّق بينهم وبين من تحدثوا عن المقاصد حديثًا مستفيضًا وموسَّعًا.

وأما العلماء الذين تحدثوا باستفاضة عن مقاصد القرآن وناقشوا مسائلها فهم الذين يأتي الحديث عن جهودهم في المبحث الثاني من هذا البحث.

المطلب الأول: جهود أبي إدريس الخولاني (ت: ٨٠ هـ):

قسّم أبو إدريس الخولاني آيات القرآن حسب مقاصدها وموضوعاتها إلى ستة مقاصد وموضوعات، وهي:

المقصد الأول: الأمر.

المقصد الثاني: النهي.

المقصد الثالث: التبشير.

المقصد الرابع: الإنذار.

المقصد الخامس: الفرائض (الأحكام).

المقصد السادس: القصص والأخبار والأمثال.

أخرج أبو نعيم في كتابه: (حلية الأولياء)، قال: حدثنا أبو محمد بن حيان ثنا محمد بن عبد الله بن رسته ثنا معاوية بن عمران ثنا أنيس بن سوار عن أيوب عن أبي قلابة قال: قال أبو إدريس الخولاني: «إنما القرآن آية مبشرة، وآية منذرة، وآية فريضة، أو قصص أو أخبار، وآية تأمرك، وآية تنهاك»^(١).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (١٢٣/٥).

ويمكن اعتبار أبي إدريس الخولاني أول من حاول تقسيم آيات القرآن وسوره حسب موضوعاتها ومقاصدها؛ فالأمور التي وردت في كلامه هي بعض أحاد ما ذكره من جاء بعده في مقاصد القرآن وموضوعاته - كما سيأتي -؛ فمقصد الأمر يخرج منه الأمر بتحقيق الألوهية والربوبية لله عز وجل، ومقصد النهي يخرج منه النهي عن الشرك والكفر وجميع المعاصي صغيرها وكبيرها، ومقصد الفرائض أو الأحكام يخرج منه جميع الأعمال التي يثاب عليها العبد والأعمال التي يعاقب بها العبد، ومقصد القصص والتبشير والإنذار هي عبارة عن وسائل فنية تخدم المقاصد السابقة وليست بمقاصد أصلية، وإنما هي وسائل إلى فهم المقاصد الأصلية.

المطلب الثاني: جهود أبي العباس ابن سريج (ت: ٣٠٦هـ):

حصر ابن سريج مقاصد القرآن وموضوعاته في ثلاثة أشياء: الأحكام، والوعد والوعيد، والأسماء والصفات، ولم يستخدم مصطلح (مقاصد القرآن) أو (موضوعات القرآن)، بل استخدم مصطلحاً مرادفاً لهما وهو مصطلح (أقسام القرآن)، وقد بنى فكرته في تقسيم أنواع مقاصد القرآن وموضوعاته على الحديث الوارد في فضل سورة الإخلاص بأنها تعدل ثلث القرآن، فاستنبط أنَّ المقصود بالحديث أنَّ القرآن في الجملة مشتمل على أمور ثلاثة: الأحكام، والوعد والوعيد، والأسماء والصفات.

قال ابن سريج فيما نقل عنه ابن تيمية في الفتاوى: «عن أبي الوليد القرشي أنه سأل أبا العباس ابن سريج عن معنى قول النبي ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] تعدل ثلث القرآن، فقال: معناه؛ أنزل القرآن على ثلاثة أقسام: ثلث منها الأحكام، وثلث منها وعد ووعيد، وثلث منها الأسماء والصفات. وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات. وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في هذا الحديث ثلاثة أوجه: بدأ بهذا الوجه، فروى قول ابن سريج هذا بإسناده عن زاهد عن الصابوني والبيهقي عن الحاكم أبي عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: سألت أبا العباس ابن سريج قلت: ما معنى قول النبي ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] تعدل ثلث القرآن؟ قال: إنَّ

القرآن أنزل على ثلاثة أقسام: فثلث أحكام، وثلث وعد ووعيد، وثلث أسماء وصفات. وقد جمع في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] أحد الأثلاث، وهو الصفات؛ فقليل: إنها تعدل ثلث القرآن^(١).

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٧/١٠٣-١٠٤).

المطلب الثالث: جهود محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ):

أولاً: بعض أحاديث النبي ﷺ وإيرادها لبعض مقاصد القرآن وموضوعاته عند الطبري:

قد تحدّث ابن جرير الطبري عن مقاصد القرآن وموضوعاته في مقدمة تفسيره تحت مبحث عنوانه بقوله: «القول في البيان عن معنى قول رسول الله ﷺ: (أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة)، وذكر الأخبار الواردة بذلك»^(١).

وقد ذكر ابن جرير الطبري حديثين رُويَا عن النبي ﷺ في ذكر الموضوعات التي في القرآن، وهذه الموضوعات هي بعض ما يذكره العلماء في آحاد مقاصد القرآن الكريم وموضوعاته، والحديثان هما:

الحديث الأول: حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب، وعلى سبعة أحرف: زاجر وأمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال؛ فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتهم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا به كلّ من عند ربنا»^(٢).

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (١/٦٨).

(٢) المرجع السابق، (١/٦٨). والحديث أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار وذكر أسانيده وذكر أنّ فيه انقطاعاً بين أبي سلمة بن عبد الرحمن وعبد الله بن مسعود. انظر: شرح مشكل الآثار، الطحاوي، =

فبمقتضى هذا الحديث إن صحَّ سنده، فموضوعات القرآن ومقاصده
سبعة، وهي:

١- الزجر. (النهي).

٢- الأمر.

٣- الحلال.

٤- الحرام.

٥- المحكم.

٦- المتشابه.

٧- الأمثال.

الحديث الثاني: عن أبي قلابه، قال: «بلغني أن النبي ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، ومثل».

ونلاحظ أن الحديث الأول يخالف الحديث الثاني في أنه اختصَّ بذكر المحكم والمتشابه من موضوعات القرآن، واستخدم لفظ (الحلال) محلّ لفظ (الترغيب)، ولفظ (الحرام) محلّ لفظ (الترهيب)، واختصَّ الحديث الثاني

=

ج ٨/١١٥). وأمّا الألباني فقد حسن الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم: ٥٨٧، (٢/١٣٣).

بذكر موضوع أو مقصد (الجدل) و(القصص)، واشتركا في ذكر موضوع أو مقصد (الأمر) و(الزجر).

وقد بين ابن جرير الطبري أنَّ معنى هذين الحديثين وما في معناهما: أنَّ الله تعالى بينَ ما اختص به القرآن من موضوعات ومقاصد لم ترد في الكتب السماوية المنزلة قبل القرآن؛ كالزبور والتوراة والإنجيل، وأكَّد أنَّ الانصراف عن هذه المقاصد والموضوعات يُعدُّ ذلك ترجمةً وتفسيرًا وتلاوةً للقرآن على غير مقاصده وموضوعاته، ويعتبر الطبري أنَّ حمل القرآن على مقاصده هو مصطلح (التلاوة) التي أمر الله بها في غير ما آية من كتابه، فيقول ابن جرير الطبري: «ومعنى ذلك كله الخبرُ منه ﷺ عَمَّا خَصَّه الله به وأُمَّته، من الفضيلة والكرامة التي لم يؤتها أحدًا في تنزيله. وذلك أن كلَّ كتاب تقدَّم كتابنا نزولُه على نبي من أنبياء الله -صلوات الله وسلامه عليهم- فإنما نزل بلسان واحد، متى حُوِّلَ إلى غير اللسان الذي نزل به، كان ذلك له ترجمةً وتفسيرًا لا تلاوةً له على ما أنزله الله»^(١).

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (١/ ٧٠).

ثانيًا: عدد مقاصد القرآن وموضوعاته موافق لعدد أبواب الجنة السبعة في نظر الطبري:

عقد ابن جرير بابًا في مقدمة تفسيره في نزول القرآن من سبعة أبواب الجنة، وبيّن الفرق بين الحديث الوارد في نزول القرآن على سبعة أحرف، والحديث الوارد في نزوله من سبعة أبواب، وبيّن أنّ المقصود بنزول القرآن من سبعة أبواب هو كون الكتب الإلهية السابقة كانت تنزل خالية من الحدود والأحكام والحلال والحرام، وكانت تنزل ببعض المقاصد السبعة (المعاني السبعة) التي يحوي جميعها القرآن الكريم الذي خصّ الله به نبينا محمد ﷺ وأُمَّته، وهي: الأمر، والزجر، والحلال، والحرام، والمحكم، والمتشابه، والأمثال^(١).

وبيّن الطبري أنّ القرآن اختص ببعض المقاصد والموضوعات لم تردّ بها كتب الأنبياء السابقين؛ كالزبور والتوراة والإنجيل، وأنّ الله تعبّد عباده من أمة محمد ﷺ بهذه المقاصد والموضوعات القرآنية لنيل رضى الله والقرب منه، ولتكون هذه المقاصد مطلبًا ينالون به الجنة ويدخلون من أبوابها السبعة التي هي عدد مقاصد القرآن حسب ما ورد في الحديث وحسب ما فسّره به الطبري، والمقاصد السبعة -التي هي بعدد أبواب الجنة- كما ذكر الطبري، هي:

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (١/ ٧٠-٧٢).

المقصد الأول: الأمر.

المقصد الثاني: النهي.

المقصد الثالث: الحلال.

المقصد الرابع: الحرام.

المقصد الخامس: الإيمان بمحكم القرآن المبين.

المقصد السادس: التسليم لمتشابه القرآن الذي استأثر الله بعلمه، والإقرار

بأن كلّ ذلك من عند الله.

المقصد السابع: الاعتبار بأمثال القرآن والاتعاظ بعظاته.

يقول الإمام الطبري: «والأبواب السبعة من الجنة: هي المعاني التي فيها؛

من الأمر، والنهي، والترغيب، والترهيب، والقصص، والمثل؛ التي إذا عمل بها

العامل، وانتهى إلى حدودها المنتهى، استوجب به الجنة»^(١).

وقد نقل الزركشي في (البرهان في علوم القرآن) عن الطبري: أنّ مقاصد

القرآن وموضوعاته على الجملة ثلاثة، وهي: (التوحيد، والأخبار،

والديانات)^(٢).

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (١/٤٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص ٢٥.

ثالثاً: التفسير الظاهري والباطني للقرآن وعلاقتها بمقاصد القرآن عند الطبري:

ذكر الطبري أن لألفاظ القرآن وتفسيره ظهراً وبطناً - كما ورد في حديث ابن مسعود - وفسّر (الظَّهْر) بتلاوة أَلْفاظ القرآن وفهم ظاهر معاني الألفاظ كما وضعها العرب في لغتها، وفسّر (البَطْن) بأنّه ما خفي من مقاصد القرآن وتأويل تلك المقاصد والموضوعات كما أرادها الله في كتابه المنزل على هذه الأمة؛ هدايةً ورحمةً ونوراً وثواباً لمن عمل بمقتضى هذه المقاصد والحدود، وعقاباً لمن حاد عن هذه المقاصد والموضوعات والحدود، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦].

يقول الطبري: «وقوله ﷺ: (وإن لكل حرف منها ظهراً وبطناً)، فظهره: الظاهر في التلاوة، وبطنه: ما بطن من تأويله. وقوله: (وإن لكل حدّ من ذلك مطلعاً)، فإنه يعني أن لكل حدّ من حدود الله التي حدّها فيه - من حلال وحرام، وسائر شرائعه - مقداراً من ثواب الله وعقابه، يعاينه في الآخرة، ويطلع عليه ويلاقيه في القيامة. كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لو أن لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء لا فتديت به من هول المطلع)^(١).

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (١/ ٧٢).

وقد تابع الطبري في الكلام عن هذا الحديث العلماء الذين جاؤوا بعده؛ كالغزالي وابن العربي والشاطبي، وربطوا ذلك ببيان أن مقاصد القرآن من التفاسير التي تدخل تحت الباطن الوارد في الحديث، هذا مقتضى كلامهم حول هذا الحديث، كما سيأتي ذكر ذلك عنهم، عند الحديث عن جهودهم في مقاصد القرآن وموضوعاته.

المبحث الثاني: العلماء الذين ألفوا أو بحثوا بتوسّع في مقاصد القرآن وموضوعاته:

اشتمل هذا المبحث على جهود علماء كبار من أئمة الإسلام وشيوخه في علم مقاصد القرآن وموضوعاته الرئيسة، وعلى رأس هؤلاء العلماء: الإمام أبو حامد الغزالي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وأبو إسحاق الشاطبي، وغيرهم مما سبق ذكر أسمائهم. وقد حاول الباحث عرض جهود هؤلاء العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن من خلال مؤلفاتهم التي تناولوا فيها هذا الموضوع بالبحث، وطوّروا مسائل علم مقاصد القرآن، وأصلوا له ببعض الاستنباطات النافعة، المبنية على العلم والنظرة الشاملة إلى الآيات القرآنية وکلياته وقواعده.

المطلب الأول: جهود أبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ):

عندما نريد الحديث عن مقاصد القرآن في أيّ حقبة من الزمن وخاصة بعد القرن الخامس الهجري، لا بدّ من الرجوع إلى فكر الإمام الغزالي في هذا الموضوع؛ باعتباره المؤسس الأول والطارق لباب التأليف المستقلّ في موضوع مقاصد القرآن وموضوعاته ومحاوره. وأكثر من تكلم عن المقاصد قد اغترف غرفة من جهوده؛ ومنهم ابن جزي الكلبي وإن لم يصرّح باسم الإمام الغزالي.

أولاً: الإمام الغزالي وفتح باب البحث في المقاصد القرآنية وموضوعات القرآن:

إنَّ الإمام الغزالي أول من استخدم مصطلح (مقاصد القرآن) -حسب ما وصل بحثي إليه- وتحدّث عنها وذكر أقسامها وشرحها، ولم أظفر ببحثٍ في هذا الموضوع قبل الإمام الغزالي فصّل في موضوع مقاصد القرآن بالشكل الذي بحثه الغزالي، وهو الذي فتح هذا الموضوع ووضع له الأساس، واستفاد من جاء بعده بما سطره في كتابه: (جواهر القرآن ودرره)، وممن استفاد بما ذكره الغزالي في مقاصد القرآن وموضوعاته وتقسيماتها: ابن العربي في كتابه: (قانون التأويل)^(١)، وابن تيمية في كتابه: (جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن)^(٢)، وفي كتابه: (مجموع الفتاوى)^(٣)، والشاطبي في كتابه: (الموافقات في أصول الشريعة)^(٤)، وهو أكثرهم تأثراً بالغزالي في مباحث مقاصد القرآن، وسيأتي نقل ما ذكره هؤلاء من كلام أبي حامد الغزالي من كتابه: (جواهر القرآن ودرره)، مع استدراكاتهم

(١) انظر: قانون التأويل، ابن العربي، ص ٥٤٦.

(٢) انظر: جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن، أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ص ١٤٥، ١٤٩.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٧/ ١٢٠).

(٤) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/ ٢٠٤-٢٠٧).

عليه وموافقاتهم له، ومناقشة ذلك حسب ما يظهر للباحث من أدلة ما ذكره كل واحد منهم.

إنَّ الإمام الغزالي قَسَم كتابه في علم مقاصد القرآن إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول جعله في المقدمات والسوابق، وقسمها إلى تسعة عشر فصلاً. والقسم الثاني جعله في المقاصد. والقسم الثالث جعله في اللواحق، وقَسَم قسم المقاصد إلى:

١ - **جواهر القرآن:** وهي الآيات التي وردت في ذات الله، وصفاته، وأفعاله، وهو القسم العلمي.

٢ - **درر القرآن:** وهي الآيات التي وردت في بيان الصراط المستقيم والحث عليه، وهو القسم العملي^(١).

ومما تميَّز به كتاب الغزالي في موضوع مقاصد القرآن هو (موضوعية الكتاب)؛ حيث خَصَّصه الغزالي للمقاصد القرآنية، ولم يدخل فيه الموضوعات الأخرى التي لا تخدم هذا المبحث، ومع خروج الإمام الغزالي في هذا الكتاب عن موضوع (مقاصد القرآن) قليلاً، إلا أنه لا يخرج الكتاب من كونه كتاباً مستقلاً وموضوعياً في علم (مقاصد القرآن وموضوعاته)، بخلاف ما

(١) انظر: جواهر القرآن، الغزالي، ص ١٤-١٧.

كتبه أكثر من تحدّث عن مقاصد القرآن؛ فإنّهم يتحدّثون عنه مع موضوعات أخرى، بعضها لا علاقة لها بهذا الموضوع؛ مثل كتاب ابن العربي (قانون التأويل)، وكتاب الشاطبي (الموافقات في أصول الشريعة)، وكتاب ابن تيمية (جواب أهل العلم والإيمان)، و(مجموع الفتاوى)، وغيرهم.

ثانياً: مقاصد القرآن في نظر الإمام الغزالي:

ذكر الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه: (جواهر القرآن ودرره)، في الفصل الثاني من القسم الأول الذي عنوانه بـ(فصل في حصر مقاصد القرآن ونفائسه)، أنّ المقصد الأقصى للقرآن هو: دعوة العباد إلى الجبار الأعلى، وذكر أنّ سور القرآن وآياته تدور في فلك هذا المقصد، وشعبه الست التي تفرّعت من هذا المقصد الأصلي، فذكر أنّها ستة أقسام، وتنقسم تلك الستة إلى قسمين:

القسم الأول من المقاصد الستة: هي السوابق والأصول المهمّة؛ وهي ثلاثة:

المقصد الأول: تعريف المدعو إليه.

المقصد الثاني: تعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه.

المقصد الثالث: تعريف الحال عند الوصول إليه.

القسم الثاني من المقاصد الستة: هي الروادف والتوابع المُغنية المُتممة:

المقصد الرابع: تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم (القصص القرآني).

المقصد الخامس: محاجة الكفار ومجادلتهم بالبرهان، وكشف تخايلهم وأباطيلهم (الجدل القرآني).

المقصد السادس: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد (الأحكام)^(١).

وأما مقاصد القرآن على التفصيل عند الغزالي فهي عشرة، فيقول عنها: «وإن جمعت الأقسام الستة المذكورة مع شعبها المقصودة في سلك واحد ألفتها عشرة أنواع: (١) ذكر الذات. (٢) وذكر الصفات. (٣) وذكر الأفعال. (٤) وذكر المعاد. (٥، ٦) وذكر الصراط المستقيم؛ أعني جانبي التزكية والتحلية. (٧) وذكر أحوال الأولياء. (٨) وذكر أحوال الأعداء. (٩) وذكر محاجة الكفار. (١٠) وذكر حدود الأحكام»^(٢).

وقد لاحظ ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ على الغزالي في هذا التقسيم السُداسي الذي ذكره، وذهب إلى أن الوارد في الحديث أن مقاصد القرآن ثلاثة معتمداً على

(١) انظر: جواهر القرآن ودرره، الغزالي، ص ٣٢-٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤.

الحديث الذي ورد بأن «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن، وكذلك ذكر أن القرآن ورد بالتقسيم الثلاثي أيضاً، وحتى لا نكرّر هذا الكلام نعجل التفصيل عن مناقشة ابن تيمية لكلام الغزالي في محلّه، وذلك عند عرض جهود شيخ الإسلام في مقاصد القرآن.

وكذلك نجد الإمام أبا إسحاق الشاطبي سار مع ابن تيمية في تنقيص عدد مقاصد القرآن من ستة مقاصد - كما هي عند الغزالي - إلى ثلاثة مقاصد، مقتصرًا على القسم الأول من المقاصد الستة، وهي: معرفة المدعو إليه، ومعرفة الصراط المستقيم، ومعرفة الحال عند الوصول إليه (المعاد). وسيأتي كلامه في هذا إن شاء الله.

ثالثاً: العلوم وعلاقتها بفهم علم مقاصد القرآن، ومنزلة علم مقاصد القرآن عند الغزالي:

قسّم الإمام الغزالي العلوم بأسرها حسب دورها وعلاقتها بمقاصد القرآن في كتابه: (جواهر القرآن ودرره) إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: علوم الصّدَف والقِشْر والكُسوة (علوم اللغة العربية وعلم التفسير الظاهر):

ذكر الإمام الغزالي أن العلوم التي تدخل تحت هذا القسم عددها خمسة، وسَمّاها بعلوم الصّدَف والقِشْر والكُسوة وعلوم الآلة، وهي:

العلم الأول: علم مخارج الحروف (علم التجويد).

العلم الثاني: علم اللغة.

العلم الثالث: علم النحو (علم إعراب اللغة).

العلم الرابع: علم القراءات.

العلم الخامس: علم التفسير الظاهر^(١).

القسم الثاني: علوم اللُّبَاب والجواهر (علم أو أقسام مقاصد القرآن):

قسَّم الغزالي علوم اللُّبَاب والجواهر -وهي أقسام مقاصد القرآن عنده- إلى طبقتين حسب تقسيمه لمقاصد القرآن، حيث قسَّمها إلى السوابق والأصول المهمة، وإلى الروادف والتوابع المتممة، فكَذلك قسَّم الغزالي علوم اللُّبَاب والجواهر إلى طبقتين حسب رجوعها إلى قسمي مقاصد القرآن عنده وعلاقتها بهما، وهما:

أ- الطبقة العليا: العلوم المتعلقة بالسوابق والأصول المهمة من مقاصد القرآن:

وهي العلوم المتعلقة بالأصول الثلاثة المهمة لمقاصد القرآن، وسَمَّاهَا الغزالي بـ(علم السوابق والأصول المهمة)، وسَمَّاهَا أيضًا بـ(علم المقصد)، يقول الغزالي: «وأما الطبقة العليا من نمط اللُّبَاب فهي السوابق والأصول من العلوم المهمة، وأشرفها العلم بالله واليوم الآخر؛ لأنَّه (علم المقصد)، ودونه

(١) انظر: جواهر القرآن ودرره، الغزالي، ص ٣٧-٣٨.

العلم بالصراط المستقيم وطريق السلوك، وهو معرفة تزكية النفس، وقطع عقبات الصفات المهلكات، وتحليلتها بالصفات المنجيات»^(١).

ويرى الإمام الغزالي أنَّ علوم اللغة والنحو والإعراب والبلاغة والقراءات والتجويد، واستخدامها في معرفة تفسير آيات القرآن، هي من (التفسير الظاهري للقرآن) وهي وسيلة وليست غاية، وإنما الغاية هي (التفسير الباطني) الذي هو إدراك مقاصد التنزيل وتدبر آياته والعمل به على ضوء ما اتضح أنَّه المقصود من بيان الله تعالى في خطابه^(٢).

ب- الطبقة السفلى: العلوم المتعلقة بالروادف والتوابع المتممة من مقاصد القرآن:

وهي العلوم المتعلقة بالروادف والتوابع الثلاثة المتممة لمقاصد القرآن التي سمّاها الغزالي بـ(السوابق والأصول المهمة)، وسمّاها أيضًا بـ(علم المقصد). والعلوم التي ذكرها الغزالي تحت هذه الطبقة ثلاثة علوم، وهي:

- ١- علم قصص القرآن. ٢- علم جدل القرآن. ٣- علم أحكام القرآن ومقاصد الشريعة^(٣).

(١) جواهر القرآن ودرره، الغزالي، ص ٤١-٤٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٣٦، ٣٧، وانظر أيضًا: إحياء علوم الدين، الغزالي، (١/٢٨٩).

(٣) انظر: جواهر القرآن ودرره، الغزالي، ص ٣٩.

وقول الغزالي بأنَّ علم قصص القرآن لا تعمُّ إليه الحاجة؛ لا يمكن قبوله إلا إذا قصد أنَّ القصة بحدِّ ذاتها ليست مهمّة، وإنما المهمُّ منها الاعتبار والاتعاظ بما ورد فيها من الوعظ وأخذ العبرة وغير ذلك^(١).

القسم الثالث: العلوم الكونية غير الدّينية:

ذكر الغزالي أنَّ هناك علومًا أخرى غير العلوم السابقة التي سمّاها بعلوم الصّدَف والقشر واللّباب والجواهر، وهذه العلوم كلّها دينية أصولها وفروعها، أي إنّ لها وجودًا أصليًّا في القرآن، وإن كانت متفاوتة فيما بينها من حيث خدمتها لكتاب الله تعالى؛ فعلم اللغة وعلم التفسير الظاهر وعلم الفقه وعلم الجدل وعلم قصص القرآن وعلم الكلام كلّها علوم دينية تخدم الدّين والشريعة بشكل مباشر.

وأما العلوم الأخرى غير ما سبق ذكرها، فقد يكون لها إشارات في القرآن، إلاّ أنّه لا علاقة لها بخدمة الدّين والشريعة؛ ولذلك قال عنها الغزالي: «ولعلك تقول: إنّ العلوم وراء هذه كثيرة؛ كعلم الطبّ والنجوم، وهيئة العالم، وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه، وعلم السحر والطلسمات، وغير ذلك. فاعلم: أنا إنما أشرنا إلى العلوم الدينية التي لا بد من وجود أصلها في العالم، حتى يتيسر

(١) انظر: جواهر القرآن ودرره، الغزالي، ص ٣٩-٤٠.

سلوك طريق الله تعالى والسفر إليه. أما هذه العلوم التي أشرتُ إليها فهي علوم، ولكن لا يتوقف على معرفتها صلاح المعاش والمعاد؛ فلذلك لم نذكرها، ووراء ما عدته علوم أخر...»^(١).

ونلاحظ من كلام الغزالي أنَّ العلوم التي تساعد على سلوك الطريق إلى الله والسفر إليه كلّها من علوم مقاصد القرآن، ويتفاوت اتصالها بمقاصد القرآن حسب خدمتها لفهم تلك المقاصد القرآنية، ويشير الغزالي أيضًا إلى أنَّ العلوم كلّها في القرآن، لكنّها قد تخفى على كثيرٍ من الناس، ولا يستطيع استخراج تلك العلوم إلّا من تدبّر الآيات التي أشارت إليها، وأنَّ العلوم كلّها ترجع إلى أصل واحد من أصول مقاصد القرآن وهو مقصد معرفة الله، الذي يخرج منه معرفة أفعال الله، الذي يرجع إليه جميع ما يكون في الوجود.

وقد مثلَّ الغزالي لهذا البيان بـ(علم الطب) الذي يعتمد على معرفة الأمراض بكمالها وعلامات تلك الأمراض وطرق الاستشفاء منها، فذكر أنَّ الله تعالى أجمله في آية جامعة شاملة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]^(٢).

(١) جواهر القرآن ودرره، الغزالي، ص ٤٤-٤٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦.

ومثل الغزالي أيضًا بـ (علم الفلك) الذي أجمله الله أيضًا في بعض الآيات
القرآنية الجامعة الشاملة وهي قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]،
وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ [يونس: ٥]، وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١]، وغير ذلك من الآيات القرآنية التي لها مباحث في
علم الفلك^(١).

ويقول الغزالي في النهاية أنَّ الحديثَ عن أفعال الله الذي يتفرع من مقصد
معرفة الله تعالى طويلٌ لا يمكن تفصيله^(٢).

(١) جواهر القرآن ودرره، الغزالي، ص ٤٦.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٤٧.

المطلب الثاني: جهود عبد السلام بن برّجان الإشبيلي^(١) (ت: ٥٣٥ هـ):

أولاً: مقاصد القرآن على الجملة عند ابن برّجان الإشبيلي:

قسّم ابن برّجان مقاصد القرآن إلى قسمين؛ القسم الأول: جعله ثلاثة أقسام على الجملة، مستنبطاً لها من القرآن والسنة. والقسم الثاني: جعله على التفصيل، وهي سبعة مقاصد على عدد أيام الأسبوع وعلى عدد آيات سورة

(١) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي الإفريقي الإشبيلي، المشهور بين الأعيان بـ(ابن برّجان) ويكنى (أبا الحكم)، وكان عارفاً بالقرآن والحديث والكلام والتحقيق والتصوّف، وبه اشتهر مع الزهد والورع والاجتهاد في العبادة، ولا يُعرف تاريخ ميلاده على وجه التحديد، ولكن على وجه التقريب ربما قد وُلد فيما بين (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)، ومن شيوخه: أبو عبد الله ابن منظور، وطريقته في التصوّف قريبة نوعاً ما من الباطنية، ولكن على الرغم من ذلك لم يترك قط طريق القرآن والسنة؛ اقتداءً بالصحابة وكبار العلماء كما ذكر ذلك ابن الزبير. ومن تلاميذ ابن برّجان: أبو القاسم القنطري، وعبد الحق الإشبيلي، والمالقي، وابن العريف الصوفي المري، وقد ذكر العلماء الذين ترجموا لابن برّجان أسماء مؤلفاته، وأكثر كلامه فيها على طريقة أرباب الأحوال والمقامات؛ ومن هذه المؤلفات: (شرح أسماء الله الحسنى)، وقد اعتبره حاجي خليفة أكبر مؤلف في هذا الموضوع، وله كتاب (عين اليقين) ذكره ابن خلدون ولم يصل إلينا، ومن أشهر كتبه بعد هذين الكتابين: تفسيره للقرآن المسمّى بـ(الإرشاد) وهو منسوب إليه، والتفسير مفقود، وله تفسير آخر مفقود ذكره ابن عربي في كتابه: (مشاهد الأسرار القدسية) باسم (إيضاح الحكمة بأحكام العبرة). وله تفسير آخر محقق ومطبوع باسم تفسير ابن برّجان المسمّى: (تنبيه الأفهام إلى تدبّر الكتاب الحكيم وتعرّف الآيات والنبأ العظيم). انظر ترجمته في مقدمة تفسيره (تنبيه الأفهام) بتحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي، (١/ ٢٣-٣٠). وانظر عن تفسيره المفقود في: علوم القرآن بين البرهان والإتقان، لحازم سعيد حيدر، ص ٤٠١-٤٠٤.

الفتاحة؛ مما يدل على أنها اشتملت على جميع مقاصد القرآن في نظره. وفي هذا المطلب أتحدث عن مقاصد القرآن على الجملة عند ابن برّجان.

ذكر ابن برّجان الحديث الذي رُوي عن النبي: «إِنَّ اللَّهَ جَزَأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءاً»، وفي رواية: «فجعل يس جزءاً»، ثم علّق ابن برّجان على هذا الحديث وذكر الجزأين المتبقّيين فقال: «ومصادق ما قاله ﷺ من القرآن قول الله جل ثناؤه: ﴿فَارْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، وشاهد هذا في القرآن كثير جداً، إنما هو: (١) الله جلّ ذكره وأسمائه وصفاته. ثم (٢) الرسول وما جاء به من أمر ونهي. ثم (٣) النظر والتفكر والتدبر والعبرة من شاهد إلى غائب»^(١).

ومفهوم كلام ابن برّجان هذا، أنّ مقاصد القرآن وأجزائه - كما دلّ عليه الحديث المذكور، وكما دلت عليه الآية التي في سورة المؤمنون - هي هذه الثلاثة:

المقصد الأول: ذكرُ الله وأسمائه وصفاته: يقول ابن برّجان في كون هذا هو الجزء الأول من أجزاء القرآن كما ذكره النبي ﷺ بعد أن ذكر الحديث الوارد في ذلك: «ففي هذا البيان البين أنّ ذكر أسماء الله وصفاته، والثناء عليه بما هو أهله،

(١) تنبيه الألفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم، ابن برّجان الإشبيلي، (١/ ٨٢).

والتحميد والتمجيد وما هذا بابه في جميع القرآن؛ هو الجزء الذي من أجله جعل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] جزءاً^(١).

وقد ذكر ابن برّجان منهج القرآن في عرض مقصد التوحيد والإلهية، فقال: «جميع ما ذكره في القرآن العزيز من أسمائه؛ مرة جعلها آيات تُتلى، كأول سورة الحديد، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص، وآية الكرسي ونحو هذا، ومرة جعلها مذكورة متلوّة في أثناء الآيات، وتارة يختتم بها الآيات فتكون رؤوساً لها، وهو الأكثر، وفي سورة ثنى بعضها على بعض في الذكر والتلاوة»^(٢).

المقصد الثاني: النبوة أو الرسالة وما جاءت به من أمر أو نهى: يقول ابن برّجان في بيان الجزء أو المقصد الثاني من أجزاء القرآن ومقاصده، عند شرحه للحديث الوارد في ذلك: «ثم ما كان من ذكر الرسالة والنبوة، وما جاءت به من أمر ونهي، ووعد ووعيد، وبشارة ونذارة، وما نحا نحو هذا فهو جزء ثانٍ»^(٣).

المقصد الثالث: النظر والتفكير والتدبر والعبرة: يقول ابن برّجان في هذا المقصد والجزء القرآني: «ثم ما جاء به من تذكير ووعد وتذكّر وتفكير، ونظر واعتبار، ونصب الدلائل، وجعل الشواهد على ذلك وضرب الأمثال لتنبيه

(١) تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم، ابن برّجان الإشبيلي، (١/ ٨٣).

(٢) المرجع السابق، (١/ ٨٧).

(٣) المرجع السابق، (١/ ٨٣).

الفتن، وتوليد خواطر العلم وإثبات حقائق اليقين، وما جُزء إلى ذلك واجتمع إليه مما هو منه فهو من الجزء الذي جعل سورة يس منه»^(١).

يشير ابن برّجان بهذا الكلام إلى الرواية الأخرى للحديث استُبدلَ فيها سورة الإخلاص بسورة يس، ولفظ تلك الرواية: «إِنَّ اللَّهَ جَزَأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ فَجَعَلَ سُورَةَ يَسَ جُزْءًا».

فالرواية الأولى للحديث على أَنَّ سورة الإخلاص ثلث القرآن، إشارة إلى المقصد والجزء الأول وهو مقصد ذكر الله وأسمائه وصفاته، والرواية الثانية التي جعلت سورة يس ثلث القرآن فهي إشارة إلى المقصد والجزء الثالث وهو النظر والتفكير والتدبر والعبرة.

هذه هي أجزاء القرآن ومقاصده الثلاثة التي جاء لبيانها وشرح متعلقاتها، وقد استشهد ابن برّجان على هذه المقاصد والأجزاء الثلاثة بآيات من القرآن، ومن الآيات التي استشهد بها على المقصد الثالث، وهو مقصد النظر والتفكير والتدبر والعبرة قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يٰأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]. وقد ذكر آية واحدة

(١) تنبيه الألفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم، ابن برّجان الإشبيلي، (١/ ٨٣).

جمعت هذه المقاصد والأجزاء الثلاثة وهي قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٢] ^(١).

ثانياً: مقاصد القرآن على التفصيل عند ابن برّجان:

يرى ابن برّجان أنَّ مقاصد القرآن على التفصيل تصل إلى سبعة مقاصد، وقد تصعد فتصل إلى مائة مقصد، على عدد أسماء الله وصفاته، وعلى عدد درجات الجنة كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ -أُراه- فَوْقَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» ^(٢).

يقول ابن برّجان في بيان تصاعد مقاصد القرآن -على التفصيل- من سبعة مقاصد إلى مائة: «ثم تتفصّل هذه السبعة الفصول إلى مائة فصل عدد أسمائه

(١) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم، ابن برّجان الإشبيلي، (٨٣-٨٢/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، حديث رقم: ٢٧٩٠، (٤/ ١٦). ومسلم في صحيحه، كتاب الإمامة، باب ما أعدّه الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات، حديث رقم: ١٨٨٤، (٣/ ١٥٠١).

جلّ ذكره، وعددها عدد درجات الجنة، عنها انفصل العلم كلّه وإليها يرجع، قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»^(١)، وقال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله»^(٢). وهذه الدرجات المذكورة على عدد الأسماء المروية»^(٣).

وأما مقاصد القرآن السبعة عند ابن برّجان -على التفصيل- بعد مقاصد القرآن الثلاثة -على الجملة- التي سبق ذكرها، فهي كما يأتي:

الفصل (المقصد) الأول: الإلهية بصفاتها وأسمائها.

الفصل (المقصد) الثاني: الوجدانية.

الفصل (المقصد) الثالث: الربوبية.

الفصل (المقصد) الرابع: النبوة ومعرفة خاصيتها.

الفصل (المقصد) الخامس: معرفة التعبد بما جاءت به الرسل على الجملة وعلى التفصيل.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: إنَّ لله مائة اسم إلا واحدًا، حديث رقم: ٧٣٩٢، (١١٨/٩). ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، حديث رقم: ٢٦٧٧، (٢٠٦٣/٤).

(٢) سبق تخريج الحديث قبل قليل.

(٣) تنبيه الألفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم، ابن برّجان الإشبيلي، (٨٤/١).

الفصل (المقصد) السادس: الأمانة والالتزام بالميثاق والتعوذ من الخيانة ونكث العهد بها.

الفصل (المقصد) السابع: الاعتبار والنظر والتدبر^(١).

هذه هي مقاصد القرآن أو فصوله السبعة التي ذكرها ابن برّجان على التفصيل، ويلاحظ القارئ أنه استخدم مصطلح (أجزاء القرآن) في التعبير عن مقاصد القرآن على الجملة، واستخدم مصطلح (فصول القرآن) في بيان مقاصد القرآن على التفصيل.

هذا، ويرى ابن برّجان أنّ مقاصد القرآن السبعة لها خاصية الخفاء لتعدّد وجوهها وطرق التعبير عنها في القرآن؛ لذا دعا إلى النظر «والتدبر والاستعانة بالله في طلب معاني هذه المقاصد القرآنية وحقائقها الإيمانية والاسترشاد بالله بأنّ يلهم القارئ فهمها وتدبرها؛ لأنّ المعاني القرآنية تتعدّد وجوهها ظاهراً وباطناً»^(٢).

(١) انظر: تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرّف الآيات والنبأ العظيم، ابن برّجان الإشبيلي، (١/ ٨٣-٨٤).

(٢) انظر: المرجع السابق، (١/ ٨٥).

المطلب الثالث: جهود القاضي أبي بكر ابن العربي (ت: ٥٤٣ هـ):

أولاً: سمات منهج ابن العربي في بيان مقاصد القرآن وعرضها:

استخدم ابن العربي مصطلح (علوم القرآن) في التعبير عن مقاصد القرآن وموضوعاته، ولم يستخدم مصطلح (مقاصد القرآن)، واتفق مع أكثر العلماء في ذكر مقصد (التوحيد) من بين مقاصد القرآن، وانفرد بذكر مقصد لم يذكره مَنْ تقدّم من العلماء - حسب اطلاعاتي - وهو مقصد (التذكير) الذي استدل له بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وفي المقصد الثالث - مقصد الأحكام - عند ابن العربي، نشم فيه رائحة علم مقاصد الشريعة؛ وهو أنّ المأمور يتعلّق بالنفع، والمنهي يتعلّق بالضرر، والمندوب هو ما لم يترجّح فيه النفع أو الضرر، وهذا ما يسمى عند علماء المقاصد بـ (فقه الترجيح بين المصالح والمفاسد).

وكذلك سلك ابن العربي مذهب التثليث في عدد المقاصد، وهو العدد الذي اعتمده أكثر من تكلم عن مقاصد القرآن قبل ابن العربي وبعده؛ كأبي إدريس الخولاني (ت: ٨٠ هـ)، وأبي العباس ابن سريج (ت: ٣٠٦ هـ)، وابن تيمية، والشاطبي وغيرهم.

وقد ذهب ابن العربي إلى أنّ الله جمع مقاصد القرآن في بعض آيات كتابه العزيز التي هي بمثابة الآيات الكليات في جمع مقاصد القرآن وموضوعاته

كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وكقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ﴾ [الدخان: ٣٨]، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] ^(١).

وقد ظهر في جهود ابن العربي في بيان مقاصد القرآن مناقشته للإمام الغزالي؛ مثل موقفه الرافض في جعل علم مقاصد القرآن من علم التفسير الباطني، وخالفه أيضاً في تعديد مقاصد القرآن فالغزالي، جعل عدد المقاصد ستة على الجملة، وعشرة على التفصيل، وأمّا ابن العربي فقد جعله ثلاثة مقاصد: (التوحيد، والتذكير، والأحكام)، وردّ على مَنْ جعل التقسيم أكثر من ثلاثة مقاصد ^(٢).

ثانياً: مقاصد القرآن في نظر ابن العربي:

حصر ابن العربي مقاصد القرآن وموضوعاته على الجملة في ثلاثة مقاصد، واستخدم مصطلح (علوم القرآن) بدل مصطلح (مقاصد القرآن) أو مصطلح (أقسام القرآن)؛ وعلوم القرآن الثلاثة عند ابن العربي، هي:

(١) انظر: قانون التأويل، ابن العربي، ص ٥٤٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٥٤١-٥٤٢.

المقصد الأول: التوحيد: ويدخل تحته موضوعان - كما ذكر ابن العربي -

وهما:

أ- معرفة مخلوقاته تعالى بحقائقها (توحيد الربوبية).

ب- معرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله (توحيد الأسماء والصفات).

المقصد الثاني: التذكير: والموضوعات القرآنية التي استُخدمت في تحقيق

هذا المقصد كما ذكرها ابن العربي، هي: الوعد والوعيد، والجنة والنار، والحشر، وتصفية الباطن والظاهر عن أخلاط المعاصي. وقد استدلل ابن العربي

على هذا المقصد بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]^(١).

ويقول ابن العربي عن مقصد (التذكير): «وهو معظم القرآن، فإنه ينبنى على معرفة الوعد والوعيد، والخوف والرجاء والقرب، والذنوب وما يرتبط بها ويدعو إليها ويكون عنها، وذلك معنى تتسع أبوابه، وتمتد أطنا به. وحكمه: أن يؤخذ كل باب منه مفردًا، ثم يضاف في البيان إلى نظيره»^(٢).

(١) انظر: قانون التأويل، ابن العربي، ص ٦٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٢٨.

المقصد الثالث: الأحكام: ويدخل تحت هذا المقصد العام: التكليف ووسائله، وهي: الأمر والنهي والندب المتعلق بأعمال التكليف النافعة والضارة، والنفع يتعلّق بالمأمور، والضرر يتعلّق بالمنهي، ويستوي النفع والضرر في المندوب وقد يترجح النفع فيه^(١).

يقول ابن العربي في كتابه: (قانون التأويل) بعد أن ذكر آراء بعض العلماء في موضوعات القرآن ومقاصده: «والذي اختاره من هذا التقسيم في طريق البيان، وعليه كنتُ أعوّل في طريق الإيراد قديماً، أن علومه على ثلاثة أقسام: توحيد، وتذكير، وأحكام؛ فقسم التوحيد فيه تدخل معرفة المخلوقات بحقائقها، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله. ويدخل في علم التذكير: الوعد والوعيد، والجنة والنار، والحشر، وتصفية الباطن والظاهر عن أخلاط المعاصي. ويدخل في الأحكام: التكليف كلّ من العمل في قسم النافع منه والضرار، وحظ الأمر والنهي والندب»^(٢).

(١) انظر: قانون التأويل، ابن العربي، ص ٦٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٤١-٥٤٢.

ثالثاً: تعقيب ابن العربي على مَنْ جعل علم مقاصد القرآن تحت التفسير الباطني:

ذكر ابن العربي أنّ العلوم مطلوبة للتوصل إلى العلم الأقصى وهو معرفة الله تعالى، وذكر أنّ معرفة أقسام العلوم مهم، ويجب معرفة أقسام العلوم قبل طلبها، وذكر أنّه أراد ذكر العلوم المقصودة لفهم كتاب الله تعالى ومقاصده، ولم يقصد ذكر تقسيمات العلوم التي هي كالتوابع للعلوم المتعلقة بعلم مقاصد القرآن، ثم ذكر أنّ العلوم تنقسم من حيثيات مختلفة قبل أن يذكر انقسام تفسير آيات القرآن إلى التفسير الظاهري والتفسير الباطني.

وقد ذكر الباحث هذا التقسيم للعلوم عند ابن العربي تمهيداً لعلم التفسير الظاهري والباطني اللذين لهما علاقة بمقاصد القرآن. وتعرّض أكثر مَنْ تحدّث عن مقاصد القرآن لأقسام العلوم حسب خدمتها لفهم مقاصد القرآن، كما سبق في الكلام عن جهود الإمام الغزالي في مقاصد القرآن تقسيمه للعلوم إلى علوم الصّدَف والقشر، وعلوم اللُّباب والجواهر، والعلوم الكونية. وكما سيأتي نحو هذا التقسيم في مبحث جهود الإمام الشاطبي تقسيمه للعلوم حسب خدمتها لفهم مقاصد القرآن.

عرّف ابن العربي التفسير الظاهري والتفسير الباطني للقرآن بقوله: «الظاهر [أي: في تفسير القرآن] كاللغات وتفسيرها والقراءات وتقييدها.

والباطن كعلم أصول الفقه مثلاً، وفي تحقيق الظاهر من الباطن كلام ورجام بيانه في كتاب: (شرح المشكلين) [وهو من مؤلفات ابن العربي]، ونعني بالظاهر الآن ما تبادر إلى الأفهام من الألفاظ، ونعني بالباطن: ما يفتقر إلى نظر، فإذا تأملنا الألفاظ التي هي طريق العلم بالمعنى، فهي متعلقات كثيرة جداً متشعبة، وتحصيل القراءات والروايات وعلم اللغة وعلم النحو^(١).

فابن العربي في تعريفه للتفسير الظاهري والتفسير الباطني هنا موافق لتعريف الطبري كما قال عند تفسيره لما روي عن ابن مسعود - كما سبق - أن للقرآن ظاهراً وباطناً: «وقوله ﷺ: (وإن لكل حرف منها ظهراً وبطناً)، فظهره: الظاهر في التلاوة، وبطنه: ما بطن من تأويله»^(٢).

وكذلك عرّفهما الغزالي، فإنه ذكر - فيما سبق عنه - أن علوم الصّدف والقشر - وهي مجموعة خمسة علوم، وهي: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم القراءات، وعلم التجويد، وعلم التفسير الظاهر - هي التي بمجموعها تُمكن المفسّر من معرفة ظاهر معاني الآيات القرآنية، ومنها إلى باطن المعنى، وهو التفسير الباطني الذي يقصد به فهم مقاصد القرآن^(٣).

(١) قانون التأويل، ابن العربي، ص ٥١٤.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (١/ ٧٢).

(٣) انظر: جواهر القرآن ودرره، الغزالي، ص ٣٦.

إِلَّا أَنَّ الإمام الغزالي لَمَّا قَسَمَ العلوم بالنظر إلى علاقتها بتفسير القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام - كما سبق بيان ذلك - جعل علوم اللِّبَاب والجواهر من علم (التفسير الباطني)، وهذا ما تعقَّبَه عليه ابن العربي بعد أن ذكر معنى كلامه، لكنَّه لم يصرِّح باسم الإمام الغزالي، فقال ابن العربي: «ومن عِلْمِ الباطن عندهم معرفة الله وصفاته، والدار الآخرة، ومنه معرفة الأدلة في الردِّ على جميع المخالفين للملَّة من القرآن والسُّنة وقواعد العقائد واستنباط أحكام أفعال المكلفين الخمسة، ومناطق متعلِّقها في أدلتها وهي (أصول الفقه)»^(١).

فالغزالي يَعدُّ علم معرفة الله تعالى وعلم الآخرة من علوم مقاصد التنزيل وسَمَّاهما بـ(علم المقصد)، وهما من علوم اللِّبَاب والجواهر الستة التي تخدم مقاصد القرآن الستة في نظر الغزالي، كما سبق تفصيل ذلك^(٢).

ولم يعدَّ الغزالي علم معرفة الله واليوم الآخر وسائر علوم اللِّبَاب والجواهر من علم التفسير الظاهر، بل جعلها داخلة تحت علم التفسير الباطني، وهذا ما تعقَّبَه عليه ابن العربي، فذكر أَنَّ المقصود بالباطن في التفسير يحتمل معنيين:

المعنى الأول: أَنَّ الباطن هو ما يفتقر إلى نظر وتأمل وتأويل، وهو ما يخالف دلالات الألفاظ على المعاني اللغوية والبلاغية.

(١) قانون التأويل، ابن العربي، ص ٥٣٧.

(٢) جواهر القرآن ودرره، الغزالي، ص ٤١.

المعنى الثاني: أن الباطن هو ما لا يُوصَلُ إليه إلا بعد معرفة غيره، فهو باطن بالإضافة والنسبة^(١).

ومع أن ابن العربي صحَّ هذين الاحتمالين لمعنى (التفسير الباطني)، إلا أنه ذهب إلى أنهما نِسِيَّان؛ أي أن ما كان باطنًا عند قوم، فقد يكون ظاهرًا عند آخرين، وهذا ما ينتقد به قول مَنْ جعل علم مقاصد القرآن من علم التفسير الباطني^(٢).

وقد مثل ابن العربي ببعض الأمثلة (للتفسير الظاهري والباطني)، وأطنب في بيان وجه كونها ظاهرًا أو باطنًا، وذكر ابن العربي أن أسلوب (ضرب الأمثال) أو (المثل القرآني) - وهو من مقاصد القرآن عند بعض العلماء كالعز بن عبد السلام - مما يستدل به على أن للكلام ظاهرًا وباطنًا^(٣).

(١) انظر: قانون التأويل، ابن العربي، ص ٥٣٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٥٣٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٤٨٠، ٥٦٧.

المطلب الرابع: جهود فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ):

استخدم فخر الدين الرازي في التعبير عن مقاصد القرآن وموضوعاته ثلاثة مصطلحات: الأول: مصطلح (مقاصد القرآن)، والثاني: مصطلح (مطالب القرآن). والثالث: مصطلح (علوم القرآن).

وذهب فخر الدين الرازي إلى أن المقصد الجامع لجميع المقاصد القرآنية هو مقصد (العبادة)، فقال: «اعلم أن في قوله: ﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢] وجوهاً؛ الأول: أن يكون مفعولاً له، والتقدير: ﴿كَتَبَ أَحْكَمَتْ أَيْنَهُ، ثُمَّ قُضِلَتْ﴾ [هود: ١]؛ لأجل ألا تعبدوا إلا الله، وأقول: هذا التأويل يدل على أنه لا مقصود من هذا الكتاب الشريف إلا هذا الحرف الواحد، فكل من صرف عمره إلى سائر المطالب فقد خاب وخسر»^(١).

وقد قسّم فخر الدين الرازي مقاصد القرآن إلى أقسام مختلفة باعتبارات متنوعة؛ فقسّمها باعتبار الإيمان إلى ستة مقاصد، وقسّمها باعتبار العمل والنظر إلى أربعة مقاصد.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، (١٧/ ٣١٤).

أولاً: مقاصد القرآن من حيث النظر والعمل:

ذكر فخر الدين الرازي أنَّ المقصود بالقرآن هو الفعل أو الترك، وكلّ واحد منهما متعلّق بالقلب أو الجوارح، واعتبر الرازي هذين المقصدين -أعني: مقصد الفعل، ومقصد الترك بفرعيهما- أداة الهداية القرآنية، فبهما وبالالتزام بهما يكون القرآن هاديًا ومبشّرًا، كما قال تعالى: ﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١-٢]^(١)، وبيان ذلك كما يأتي:

المقصد الأول: الفعل، ويقصد الإمام الرازي به (الأمر)، وله فرعان:

- أ- الفرع الأول: الفعل المتعلّق بأفعال القلوب:** كالإيمان بأركانه ومتعلّقاته، والصدق، والخوف، والرجاء، وجميع أعمال القلوب المأمورة.
- ب- الفرع الثاني: الفعل المتعلّق بأفعال الجوارح:** كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وبرّ الوالدين، والإحسان إلى الناس، وإعانة المحتاجين، وطلب الرزق الحلال، وجميع أعمال الطاعات وأعمال البر التي يفعلها الإنسان بجوارحه.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، (٣/٦١٣)، (١٣/٦٤-٦٥).

المقصد الثاني: الترك، ويقصد الإمام الرازي به (النهي)، وله فرعان:

أ- الفرع الأول: الترك المتعلق بأفعال القلوب: كالنفاق، والكفر، والكذب، والحسد، والبغض، والحقد، وجميع أفعال القلوب المنهية.

ب- الفرع الثاني: الترك المتعلق بأفعال الجوارح: كالسرقة، والزنا، وشرب الخمر، والنميمة، وجميع كبائر الذنوب وصغائرها، وجميع أنواع المعاصي المتعلقة بالجوارح.

ويرى الرازي أن الفعل والترك عنصران معتبران في تطبيق المقاصد القرآنية، يقول الرازي: «إنَّ الترك والفعل أمران معتبران في ظاهر الأفعال، فالذي يجب تركه هو المحرّمات، والذي يجب فعله هو الواجبات، ومعتبران أيضًا في الأخلاق، فالذي يجب حصوله هو الأخلاق الفاضلة، والذي يجب تركه هو الأخلاق الذميمة، ومعتبران أيضًا في الأفكار، فالذي يجب فعله هو التفكير في الدلائل الدالة على التوحيد والنبوة والمعاد، والذي يجب تركه هو الالتفات إلى الشبهات...»^(١).

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، (١١/٣٤٩). وانظر نصًا آخر مشابهًا لهذا في: مفاتيح الغيب، الرازي، (٣٢/٣٥٨).

ثانيًا: مقاصد القرآن (علوم القرآن) من حيث الإيمان:

شرح فخر الدين الرازي مقاصد القرآن وذلك عند بيان كون القرآن أحسن الحديث، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، فذكر في ذلك ثلاثة وجوه، وفي الوجه الثالث ذكر أن القرآن كان أحسن الحديث لوجود العلوم الكثيرة فيه، ثم ضبط هذه العلوم بعدد محصور جامع، فرأى أنها ستة علوم، مستنبطة من قوله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

يقول الرازي: «وضبط هذه العلوم أن نقول: العلوم النافعة هي ما ذكره الله في كتابه في قوله: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فهذا أحسن ضبط يمكن ذكره للعلوم النافعة»^(١).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٦/٢٣٣).

ثم ذكر الرازي أن علوم القرآن -أي: مقاصد القرآن- ستة، وهي مذكورة في آية سورة البقرة السابقة [آية رقم: ٢٨٥]، وآحاد هذه المقاصد الستة للقرآن كما استنبطها فخر الدين الرازي، هي:

١- علم معرفة الله. ٢- علم معرفة الملائكة.

٣- علم معرفة الكتب الإلهية. ٤- علم معرفة الرسل.

٥- علم معرفة أحوال المكلفين. ٦- علم معرفة المعاد^(١).

يقول الرازي بعد أن ذكر هذه العلوم والمقاصد القرآنية الستة: «وهذا هو الإشارة إلى معرفة المطالب المهمة في طلب الدين، والقرآن بحر لا نهاية له في تقرير هذه المطالب وتعريفها وشرحها، ولا ترى في مشارق الأرض ومغاربها كتاباً يشتمل على جملة هذه العلوم كما يشتمل القرآن عليها، ومن تأمل في هذا التفسير علم أننا لم نذكر من بحار فضائل القرآن إلا قطرة، ولما كان الأمر على هذه الجملة لا جرم مدح الله -عز وجل- القرآن فقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، والله أعلم»^(٢).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٦/ ٢٣٣).

(٢) المرجع السابق، (٢٦/ ٢٣٦).

وقد قسم فخر الدين الرازي المقصد الأول من بين المقاصد الستة، وهو:
الإيمان بالله إلى خمسة أقسام، وهي: ١- معرفة الذات. ٢- والصفات.
٣- والأفعال. ٤- والأحكام. ٥- والأسماء.

وابن العربي في هذا التقسيم متفق مع الإمام الغزالي حيث جعل هذه
الأقسام الخمسة لباب وجواهر القرآن، وهي من أقسام علم اللباب وهو علم
مقاصد القرآن^(١).

**ثالثاً: نوع آخر من مقاصد القرآن عند الرازي وهو: معرفة الماضي والحاضر
والمستقبل:**

توقف الرازي عند قوله تعالى في آخر سورة هود: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود:
١٢٣]، وفي آخر سورة الصافات عند قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-
١٨٢]، وعند قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

(١) انظر: جواهر القرآن، الغزالي، ص ١٤-١٧.

واستنبط الإمام الرازي من هذه الآيات أنَّ الإنسان يحتاج إلى معرفة ثلاثة أمور، وهي: معرفة الماضي، ومعرفة الحاضر، ومعرفة المستقبل، وقد تضمنت هذه الآيات جميع هذه المعارف الثلاث، وهي وافية بالإشارة إلى جميع المطالب العلوية والمقاصد القدسية، وأنه ليس وراءها للعقول مرتقى ولا للخواطر منتهى^(١).

يقول الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]: «والوجه الثاني من النظم في هذه الآية أن للإنسان أياماً ثلاثة: الأمس، والبحث عنه يسمى بمعرفة المبدأ. واليوم الحاضر، والبحث عنه يسمى بعلم الوسط. والغد، والبحث عنه يسمى بعلم المعاد. والقرآن مشتمل على رعاية هذه المراتب الثلاث...»^(٢).

وقد استنبط الرازي نحو هذه المعارف الثلاث التي استنبطها من خاتمة سورة هود، من خاتمة سورة الصافات، وهو قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]^(٣).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (١٨/٤١٣-٤١٥).

(٢) المرجع السابق، (٧/١١٢-١١٣). انظر كلام الرازي في هذه المعارف الثلاث؛ الماضي والحاضر والمستقبل في: مفاتيح الغيب، الرازي، (٧/١١٢-١١٣)، (٧/١١٢-١١٣).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٢٦/٣٦٤).

رابعاً: مقاصد الكتب الإلهية واشتمال الفاتحة على جميعها عند الرازي:

قرّر فخر الدين الرازي أنّ الكتب الإلهية تشترك في مقاصدها، إلا أنّ القرآن قد اشتمل على بعض الزوائد التي لم ترد في تلك الكتب، واستشهد على هذا الرأي بالأثر المروي عن الحسن: «إنّ الله تعالى أنزل مائة وأربعة كتب من السماء؛ فأودع علوم المائة في الأربعة، وهي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم هذه الأربعة في الفرقان، ثم أودع علوم الفرقان في المفصّل، ثم أودع علوم المفصّل في الفاتحة، فمن علم تفسير الفاتحة كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة»^(١).

وأما مقاصد تلك الكتب الإلهية بما فيها الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن عند فخر الدين الرازي فهي ثلاثة في الجملة، وثمانية على التفصيل؛ فأما على الجملة فهي:

١ - مقصد التوحيد.

٢ - مقصد النبوة.

٣ - مقصد المعاد.

وأما مقاصد الكتب السماوية على التفصيل فهي ثمانية:

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (١/١٥٧)، و(١/١٦٠).

١ - مقصد الدعوة إلى التوحيد.

٢ - مقصد العدل.

٣ - مقصد النبوة.

٤ - مقصد المعاد.

٥ - مقصد الأمر بالاشتغال بالعبادة والطاعة.

٦ - مقصد تقييح أحوال الدنيا.

٧ - مقصد الترغيب في التوجه إلى الآخرة.

٨ - مقصد الأمر بتطهير الأخلاق^(١).

وذهب الرازي إلى أن مقاصد الكتب الإلهية هذه -بجملتها وتفصيلها- لا تخرج عن ثلاثة علوم، وهي: علم الأصول، وعلم الفروع -أي: علم أحكام الله تعالى وتكاليفه كما قال الرازي-، وعلم المكاشفات والمشاهدات وأنواع الهدايات، وهو علم تصفية الباطن -كما سَمَّاه الرازي-، وذهب الرازي إلى أن فاتحة الكتاب مشتملة على هذه العلوم الثلاثة^(٢).

وذهب الرازي كذلك إلى أن القرآن مشتمل على أربعة مطالب كلية، ومصطلح المطالب عند الرازي -كما سبق في أول هذا المطلب- المقصود به

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (١/١٥٧)، (١/١٦٠)، (٢٨/٢٨)، (٢٧/٥٧٦).

(٢) انظر: المرجع السابق، (١٣/٦٥).

هو مقاصد القرآن الكلية التي يسعى القرآن إلى بيانها وتحقيقها، وهي عبارة عن موضوعات مهمّة تهدف إلى تحقيق العبودية والربوبية لله عزّ وجلّ، وهذه المطالب الأربعة الكلية اختلفت ألفاظ الإمام الرازي في التعبير عنها، فيعبر عنها أحياناً بـ: التوحيد، والنبوة، والقضاء والقدر، والمعاد. وأحياناً يستبدل مصطلح: القضاء والقدر، بمصطلح آخر وهو (العدل) فيذكر أنها: التوحيد، والعدل، والنبوة، والمعاد^(١).

وهذا الصنيع من الإمام فخر الدين الرازي، دالّ على تأثره بعلم الكلام، فمصطلح القضاء والقدر هو المستعمل عند أكثر العلماء، وأمّا مصطلح (العدل) فهو مصطلح اعتزالي استخدمه المعتزلة مرادفاً لمصطلح القضاء والقدر مع الاختلاف بينهم وبين العلماء في مسائل القضاء والقدر، والله أعلم. ويعبر الإمام الرازي أيضاً عن مقصد التوحيد بمصطلح (الإلهيات).

ويرى الإمام الرازي أنّ الآيات التي وردت في هذه المطالب والمقاصد القرآنية الكلية الأربعة لا تقبل النسخ بل هي محكمة ثابتة لا تتغير^(٢).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (١٥/٤٢٢)، (١/١٥٦).

(٢) انظر: المرجع السابق، (١٧/٣١٢-٣١٣).

المطلب الخامس: جهود العز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠ هـ):

من أهم ما تميَّز به بحث مقاصد القرآن عند العز بن عبد السلام أنَّه غلب عليه الاهتمام بمقاصد الشريعة وفنون البلاغة القرآنية؛ مثل: التكرير في القصص والوعد والوعيد وتكرير المثل، وهو نفسه -أعني المثل- من أنواع البلاغة القرآنية، والنداء، والطلب، وهما من مباحث الإنشاء في علم البلاغة وغير ذلك^(١).

وقد تكرَّرت مصطلحات مقاصد الشريعة في كلام العز بن عبد السلام عن مقاصد القرآن، مثل: الضروريات، والحاجيات، والتكميلات، والمصالح، والمفاسد، والخير والشر، وغير ذلك، وهذا مما يدلُّ على أنَّ هناك تداخلاً بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن في نظر العز بن عبد السلام^(٢).

وكذلك نجد العز بن عبد السلام متماشياً مع التصنيف الثلاثي لمقاصد القرآن ذاهباً مذهب الجمهور في ذلك، إلا أنَّه كرَّر ذكر الأحكام وعبر عنها بـ(مؤكدات الأحكام) بعد أن ذكرها مفردة^(٣).

(١) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، (١/ ١٠٩-١١٠).

(٢) انظر: المرجع السابق، (١/ ١١١).

(٣) انظر: المرجع السابق، (١/ ١٠٩).

وكانَّ العزَّيرى أنَّ مقاصد القرآن مقصدان: مقصد التوحيد، ومقصد الأحكام، والمقصد الثالث تابع لهما، وهو عبارة عن وسائل تأكيدية؛ كالترغيب والترهيب، والمثل، والوعد والوعيد، والمدح والذم، والقصص، والتمنُّ، وغيرها.

أولاً: تنبيه العز بن عبد السلام على أهمية البحث عن مقاصد القرآن:

أكَّد العز بن عبد السلام أنَّ غرض المفسِّر يجب أن يكون معرفة المقاصد القرآنية، وليس طلب معرفة أمور لا طائل تحتها أو لا تخدم ما أنزل من أجله هذا الكتاب العزيز، فإنَّه قال: «والغرض من التفسير الوقوف على مقاصد القرآن المفيد للأُمور الدينية، وأمَّا عرفان العضو الذي ضُربَ به القَتِيل، ومعرفة القرية التي أُمرُوا بدخولها، ومعرفة الحَجَر الذي ينبجس بضرب موسى ﷺ هل كان مُعَيَّنًا بقدر رأس الإنسان أو أكبر، أو كان حجراً غير مُعَيَّنٍ، فهذا كلُّه لا يفيد أمراً دينياً، وكذلك معرفة أسماء البلدان المبهمة في القرآن، ومعرفة أصحاب الكهف، واسم مَلِكهم، واسم مدينتهم، واسم كلبهم، وكذلك الذي شبه بعيسى ﷺ فُصلب، هل كان حوارياً أو يهودياً، وكذلك الاختلاف في عدَّة أصحاب فرعون لمَّا تبع موسى ﷺ، كلُّ ذلك مما لا تمسُّ الحاجة إليه، ولا تحتُّ الضرورة عليه»^(١).

(١) نبذ من مقاصد الكتاب العزيز، العز بن عبد السلام، ص ٧٠-٧١.

وقد تأثر ابن عاشور في تفسيره بما ذكره العز بن عبد السلام هنا، وإن لم يصرّح باسم العز أو كلامه؛ إلا أنّ موقفهما واحد في التنبيه على الاهتمام بمقاصد القرآن عند تفسير القرآن، والإعراض عمّا لا يفيد في تحقيق هذا الغرض والمقصد، كما نبّه ابن عاشور على ذلك في (المقدمة الرابعة: فيما يحقّ أن يكون غرض المفسر)^(١).

ثانيًا: مقاصد القرآن وموضوعاته في نظر العز بن عبد السلام:

وأما مقاصد القرآن وموضوعاته في نظر العز بن عبد السلام فقد وجدها الباحث في كتابين من مؤلفاته، وهما: (قواعد الأحكام في مصالح الأنام)، وكتاب: (نُبذ من مقاصد الكتاب العزيز). وأبدأ بذكر المقاصد القرآنية من كتاب: (قواعد الأحكام)، وهي ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: الشناء على الإله (التوحيد).

المقصد الثاني: الأحكام.

المقصد الثالث: مؤكّدات الأحكام^(٢). وخلاصتها دائرة حول سبعة أمور،

وهي:

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٨/١).

(٢) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، (١٠٩/١).

- ١- الترغيب (المدح). ٢- الترهيب (الذم). ٣- الوعد بالثواب العاجل والآجل. ٤- الوعيد بالعقاب العاجل والآجل. ٥- الأمثال. ٦- القصص. ٧- التَّمَنُّنُ بالنَّعَمِ ^(١).

ومع جعلِ العز بن عبد السلام (الأمثال) من المقاصد القرآنية، إلا أنه بيّن أنها وسيلة إلى المقاصد السابقة، فإنّه ذكر أنّ الأمثال لا تنفك عن الوعد والوعيد والمدح والذم واللوم والتوبيخ، كما سيأتي ذكر نصّ كلامه في ذلك ^(٢).

وأما مقاصد القرآن وموضوعاته كما ذكرها العزّ في كتابه: (نبذ من مقاصد الكتاب العزيز) فهي المقاصد السابقة، إلا أنّه ذكر بعض ما يتعلّق بها من وسائل وأساليب، وزاد بعض الأمور الفنيّة المتعلّقة بطريقة عرض تلك المقاصد، وأوصلها إلى ثلاثة عشر مقصداً بدل سبعة مقاصد كما سبق، وخلاصة ما ذكره في الكتاب كما يأتي:

- ١- الطلب. ٢- الإذن والإطلاق. ٣- النداء. ٤- مدح الأفعال. ٥- مدح الفاعلين لأجل الفعل الذي وُصفوا به. ٦- ذمّ الأفعال. ٧- ذمّ الفاعلين لأجل الفعل الذي وُصفوا به. ٨- الوعد بالخير العاجل. ٩- الوعد بالخير الآجل.

(١) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، (١/ ١٠٩-١١٠).

(٢) انظر: نبذ من مقاصد الكتاب العزيز، العز بن عبد السلام، ص ٧٤.

- ١٠- الوعيد بالبشر العاجل. ١١- الوعيد بالبشر الآجل. ١٢- الأمثال.
١٣- التكرير^(١).

ثالثاً: شرح آحاد مقاصد القرآن وبيانها عند العز بن عبد السلام:

الأول: الثناء على الإله (التوحيد):

ذكر العز أن هذا المقصد منه ما يرجع إلى المقصد الثاني وهو (الأحكام)،
أي: إنَّ من الثناء على الله ومدحه بأسمائه وصفاته ما يكون تأكيداً لبعض
الأحكام العملية^(٢).

(١) انظر: نبذ من مقاصد الكتاب العزيز، العز بن عبد السلام، ص ٧١-٧٥. يقول العز بن عبد السلام عن مقصد التكرير: «وهو دالٌّ على الاعتناء والاهتمام بالمكرّر، فتكرير صفات الله دالٌّ على الاعتناء بمعرفتها والعمل بموجبها، وتكرير القصص دالٌّ على الاهتمام بالوعظ للإيقاظ والاعتبار، وفائدة تكرير القصص تطرية المواعظ وتجديدها؛ لأنَّ منها ما يحثُّ على الطاعة والإيمان، ومنها ما يزرع عن الكفر والعصيان، وكذلك الوعد والوعيد، وكذلك تكرير ذكر الأحكام، وكذلك تكرير المدح، والمدح والذمُّ وما يترتب على المأمورات والمنهيات من المؤكّدات المذكورات، فتكرير الوعد يدلُّ على الاهتمام بفعل الطاعات ترغيباً في ثوابها، وتكرير الوعيد يدلُّ على الاهتمام بترك المخالفات ترهيباً من عقابها، وتكرير القرآن بين الوعد والوعيد يدلُّ على الاهتمام بوقوف العباد بين الخوف والرجاء». نبذ من مقاصد الكتاب العزيز، العز بن عبد السلام، ص ٧٤.

(٢) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، (١/ ١٦٥).

وقد ذهب العز بن عبد السلام -أيضاً- إلى أنَّ القصد من العبادة الثناء على الله، وجميع العبادات كلها هو إجلال الله تعالى وتعظيمه والثناء عليه ومهابته، يقول العز بن عبد السلام: «والمقصود من العبادات كلها إجلال الإله، وتعظيمه، ومهابته، والتوكل عليه، والتفويض إليه. وكفى بمعرفة صفاته شرفاً»^(١).

الثاني: الأحكام (العبادات):

بيّن العز بن عبد السلام أنَّ مقصد الأحكام في القرآن يتنوّع إلى سبعة أنواع: وهي: ١- أحكام القلوب. ٢- أحكام الأبدان. ٣- أحكام الجوارح. ٤- أحكام الحواس. ٥- أحكام الأموال. ٦- أحكام الأماكن. ٧- أحكام الأزمان^(٢).

وقد عقد العز بن عبد السلام لأنواع الأحكام السبعة فصلاً، وشرحها وبيّنها، ولولا خوف التطويل والخروج عن مقصد هذا البحث لساق الباحث ما جاء في هذا الفصل^(٣).

وذهب العز بن عبد السلام كذلك إلى أنَّ مقصد الأحكام -أي: العبادات- في القرآن ليست مقصودة لعينها، وإنما هي من الوسائل، وهي مقصودة للعمل

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، العز بن عبد السلام، (٢/ ٧٢).

(٢) انظر: المرجع السابق، (١/ ١٩٨).

(٣) انظر: المرجع السابق، (١/ ٢٢٣-٢٣٨).

بها، وسبب ذهاب العز بن عبد السلام إلى هذا الرأي؛ أنه قسّم حقوق الله إلى مقاصد ووسائل، وقال بأنّ المقاصد من حقوق الله هو التوحيد، أي: معرفة ذاته سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته، يقول العز بن عبد السلام: «فأما حقوق الله فإنها منقسمة إلى المقاصد والوسائل: فأما المقاصد فكمعرفة ذاته وصفاته، أما الوسائل فكمعرفة أحكامه، فإنها ليست مقصودة لعينها وإنما مقصودة للعمل بها»^(١).

ومما ظهر للباحث في نظره إلى مقصد الأحكام عند العز أنّه حمله على المعنى العام الذي يشمل الأحكام الاعتقادية والعملية، ولم يقصر الأحكام أو التشريع على الفروع الفقهية العملية، وقد بدأ ذلك عنده عندما تحدّث عن حقوق الله تعالى ومَحالّها حيث ذكر أنّ التكاليف كلّها محلّها ومصدرها القلوب، وأول واجب على الإنسان هو معرفة الله ومعرفة صفاته^(٢).

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، (١/١٩٨).

(٢) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، (١/١٩٧).

الثالث: توابع الأحكام ومؤكداها:

وهذا القسم قسّمه العز بن عبد السلام إلى عشرة أنواع:

النوع الأول: مدح الأفعال وذمّها، ترغيباً في ممدوحها، وتزهيداً في مذمومها^(١).

النوع الثاني: مدح الفاعلين، ترغيباً للعباد في الدخول في مدحة رب العالمين التي هي زينٌ للطائعين^(٢).

(١) ذكر العز بن عبد السلام أمثلة لمدح الأفعال وذمّها في كتابه: (نبذ من مقاصد الكتاب العزيز)، فقال: «فصل في مدح الفعل ترغيباً فيه بمدحه، وله أمثلة:

المثال الأول: في مدح الدين: وله مثالان؛ الأول: قوله تعالى: ﴿صَبَغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ صَبَغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]. مدحها بذلك ترغيباً فيها، والثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

المثال الثاني: في مدح القول: في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، جعل ذلك القول أحسن الأقوال حثاً عليه.

المثال الثالث: في مدح الصدقات: في قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، أثني على إبداء الصدقات حثاً على إبدائها، وجعل إخفاءها خيراً من إبدائها مبالغة في الترغيب في إخفائها. (نبذ من مقاصد الكتاب العزيز، العز بن عبد السلام، ص ٢٣).

(٢) ذكر العز بن عبد السلام أمثلة لمدح الفاعلين في كتابه: (نبذ من مقاصد الكتاب العزيز)، فقال: «فصل

في مدح الفاعل بفعله حثاً عليه: وذلك في قوله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، وما عطف عليه من أفعالهم إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠]، حثهم بمدحه إياهم بالفلاح أولاً، وبما رتب

=

النوع الثالث: ذم الغافلين، تنفيراً من الدخول في مذمة الله التي هي شينٌ للعاصين.

النوع الرابع: الوعد؛ بأنواع الثواب الآجل، ترغيباً في تحصيل مصالح الطاعات.

النوع الخامس: الوعيد؛ بأنواع العقاب الآجل، تنفيراً من المعاصي والمخالفات.

النوع السادس: الوعد بأنواع الثواب العاجل؛ فإن النفوس قد جُبِلَتْ على حبّ العاجلة.

النوع السابع: الوعيد بأنواع العقاب العاجل.

النوع الثامن: الأمثال.

=

عليه من إرث الفردوس آخرًا، وكذلك قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤-١٥]، يحتمل أن يريد بالتزكي: التزكي بالأعمال الصالحات، ويحتمل أن يريد به التطهر من المعاصي والمخالفات. وكذلك قوله في داود عليه السلام: ﴿يَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، مدحه بكثرة رجوعه إلى طاعة ربه ترغيباً في كثرة الرجوع إليها، وكذلك قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧-١٨] الآية، مدحهم بكمال العقول في قوله: ﴿هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨] ترغيباً في اتباع أحسن القول». (نبذ من مقاصد الكتاب العزيز، العز بن عبد السلام، ص ٢٤-٢٥).

النوع التاسع: قصص المرسلين.

النوع العاشر: تمنّنا علينا بما خلقه لأجلنا^(١).

وقد حشد العزّ لهذه القواعد والمقاصد والوسائل أمثلة من آيات القرآن الكريم للتدبّر والتعقّل بما فيها، لا يسع المجال لعرضها وبسطها وتحليلها هنا.

(١) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، (١/١٦٢-١٦٥). ذكر العز أمثلة الآيات القرآنية في مقصد (التمنّ) في القرآن بمختلف أنواعه فذكر أمثلة: التمنّ (بإرسال الرسول ﷺ تنبيهاً على عظيم تلك النعمة لشُكر)، والتمنّ (بالتوفيق للإيمان والعمل الصالح)، والتمنّ (بصرف العصيان)، والتمنّ (بحسن الخلقة)، والتمنّ (بالمنافع والأرزاق)، والتمنّ (بما سخّره على العموم)، والتمنّ (بإنزال الأمطار وإنبات الزرع والثمار)، والتمنّ (بالمأكل والمشرب والملابس والمناكح والمساكن والمراكب، وبالظلال والخيام والماء الزلال)، والتمنّ (علينا مما ندفع به الضرورات والحاجات، والتمنات والتكملات)، والتمن (بالعلوم في تعلم الخط وغيره)... إلخ. انظر أمثلة تمنّنا سبحانه بهذه النعم في كتاب: (نبذ من مقاصد الكتاب العزيز، العز بن عبد السلام، ص ٤٠-٤٩).

المطلب السادس: جهود الإمام عبد الله بن عمر البضاوي (ت: ٦٨٥ هـ):

ظهر للباحث بعد البحث في تفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ومؤلفات الإمام البضاوي الأخرى، مثل: (تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة)؛ أنه تكلم عمّا في القرآن من موضوعات ومقاصد، إلاّ أنّه استخدم مصطلحات متنوعة في التعبير عن مقاصد القرآن وموضوعاته؛ مثل مصطلح (مقاصد القرآن)، و(معاني القرآن)، و(علوم القرآن). كلّ هذه المصطلحات وردت في حديثه عن مقاصد القرآن وموضوعاته.

ومقاصد القرآن عند الإمام البضاوي ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: العقائد: وفيها التعريف بالذات الإلهية، والثناء على الله، والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده، وجميع المعارف الإلهية والردّ على من ألحدَ فيها، وهو أشرف المقاصد الثلاثة وأفضلها كما ذكر الإمام البضاوي.

المقصد الثاني: الأحكام: وهي قسمان: الحكم النظرية، والأحكام العملية.

المقصد الثالث: القصص: وفيها الاطلاع على مراتب السعداء، ومنازل

الأسقياء^(١).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البضاوي (٤/ ١٥٤)، (١/ ٢٥)، (٥/ ٣٤٧).

هذا هو التقسيم الذي ورد عند الإمام البيضاوي في تفسيره، وورد عنده تقسيم آخر ثلاثي مختلف عن هذا التقسيم قليلاً؛ حيث جعل علم (تهذيب الأخلاق وتزكية النفس) بدل (القصص)، واستخدم لفظ (الشرائع) بدل لفظ (الأحكام)، وذلك في شرحه لـ (مصابيح السنة) للإمام البغوي، وهي:

المقصد الأول: علم التوحيد.

المقصد الثاني: علم الشرائع.

المقصد الثالث: علم تهذيب الأخلاق وتزكية النفس^(١).

وقد اتفق الإمام البيضاوي مع فخر الدين الرازي - كما سبق - في جعل تهذيب الأخلاق وتزكية النفس مقصداً من مقاصد القرآن، إلا أن فخر الدين الرازي عبّر عنه بعبارة (تطهير الأخلاق)، والتهذيب والتطهير يفيدان معنى واحداً تقريباً.

يقول البيضاوي في تفسير سورة الإخلاص: «ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الإلهية والردّ على مَنْ ألحدَ فيها، جاء في الحديث أنها تعدل ثلث القرآن. فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص ومَنْ عدّلها بكلّه اعتبر المقصود بالذات من ذلك»^(٢).

(١) انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، عبد الله بن عمر البيضاوي، (١/ ٥٣٠).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، (٥/ ٣٤٧).

ويقول في موضع آخر: «علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع، ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار عن المغيبات»^(١).

ويقول البيضاوي في شرح حديث: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] تعدل ثلث القرآن: «معاني القرآن آيلة إلى تعليم ثلاثة علوم: علم التوحيد، وعلم الشرائع، وعلم تهذيب الأخلاق وتزكية النفس، وسورة الإخلاص تشتمل على القسم الأشرف منها، الذي هو كالأصل والأساس للقسمين الآخرين، وهو علم التوحيد على أبين وجه وأكده»^(٢).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، (٤/ ١٥٤).

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، عبد الله بن عمر البيضاوي، (١/ ٥٣٠).

المطلب السابع: جهود شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ):

أولاً: سمات منهج ابن تيمية في مناقشة أنواع المقاصد القرآنية:

إنَّ جهود ابن تيمية في بيان مقاصد القرآن وموضوعاته لها سمات مميّزة؛ وذلك لِمَا له من تعقيبات على جهود مَنْ سَبَقه في هذا الموضوع، وخاصّة الإمام الغزالي، فقد استدرك عليه في عدد المقاصد؛ حيث اعتبر ابن تيمية العدد الذي ذكره الغزالي قابلاً للتنقيص إلى عدد أقلّ مما ذكره، فرأى ابن تيمية أنَّ عدد المقاصد ثلاثة وليست ستة كما عند الغزالي، وذهب إلى أنَّ مقصد القصص الذي عبّر عنه الغزالي بتعريف أحوال المجيبين والناكبين لا يعتبر مقصداً، بل هو من تمام الآيات والأدلة على الأصول الإيمانية التي أخبر عنها الرسل، وهي من العبرة والموعظة والترغيب والترهيب وليست من المقاصد القرآنية.

وتحقيق ابن تيمية هذا جدير بالاعتبار والقبول، فالقصص وما فيها لا تعتبر من المقاصد بل هي من وسائل المقاصد؛ كالقصص التي فيها بيان قوة الإيمان بالله، كما في قصة أصحاب الكهف، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة امرأة فرعون التي دعت الله أن ينجيها منه لأنّه قصد تعذيبها لإيمانها، وغير ذلك من القصص التي برز فيها هذا المقصد الإيماني القوي.

وذهب ابن تيمية إلى أنَّ القصص والنبوة اللذين يجعلهما بعض العلماء -كابن جزري وابن برّجان- في أقسام المقاصد القرآنية يمكن إدراجهما في مقصد (التوحيد) أو (الإلهيات).

وأما المصطلح الذي استخدمه ابن تيمية في التعبير عن مقاصد القرآن فهو مصطلح (معاني القرآن)، وهذا هو المصطلح الوحيد الذي استخدمه، ولم يستخدم المصطلحات الأخرى، مثل مصطلح: (مقاصد القرآن)، أو (علوم القرآن)، أو (أقسام القرآن).

ثانياً: مقاصد القرآن عند ابن تيمية وردّه على تقسيم الغزالي لمقاصد القرآن:

ومما أسهم فيه شيخ الإسلام ابن تيمية في موضوع مقاصد القرآن وموضوعاته؛ هو مناقشته لتقسيم الإمام الغزالي وتعقيبه على ما ذكره في كتابه: (جواهر القرآن) على أنَّ مقاصد القرآن (ستة مقاصد) بدل (ثلاثة مقاصد) كما جرى عليه أكثر من تحدّث عن مقاصد القرآن، وقد أخرج ابن تيمية القسم الثاني من مقاصد القرآن التي ذكرها الغزالي وسَمّاها بـ(الروادف والتوابع المغنية المتممة)، فصارت المقاصد عند ابن تيمية ثلاثة مقاصد بدل ستة، وهي:

المقصد الأول: تعريف المدعو إليه.

المقصد الثاني: تعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه.

المقصد الثالث: تعريف الحال عند الوصول إليه.

وذكر ابن تيمية أنَّ هذه المقاصد القرآنية الثلاثة ترجع إلى ثلاثة أصول
إيمانية، وأنها موجودة في كل ملة، وهي:

١- الإيمان بالله.

٢- الإيمان باليوم الآخر.

٣- العمل الصالح.

واستدل على ما ذهب إليه بما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. واستدرك ابن تيمية على الغزالي بأنَّ المقاصد القرآنية الثلاثة المتممة للثلاثة الأول التي سبق ذكرها؛ هي داخلية في الثلاثة الأول.

يقول ابن تيمية: «إنَّ ما في القرآن من ذكر أحوال السعداء والأشقياء في الآخرة فهو من تفصيل الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من (عمارة الطريق) فهو من (العمل الصالح)، وما فيه من (المجادلة والمحااجة) فذاك من تمام الإخبار بالثلاثة...، لكن المقصود هنا أنَّ هذه الثلاثة داخلية في الثلاثة الأول، ولكنَّ أبو حامد يجعل الحجاج صنعة الكلام، ويجعل (عمارة الطريق) علم الفقه، ويجعل (أخبار الأنبياء) علم القصص، ويقول إنَّ الكلام والجدل ليس فيه بيان حقَّ بدليل، بل إنما فيه دفع البدع ببيان تناقضها، ويجعل أهله من جنس خفراء

الحجيج، ويجعل علم الفقه ليس غايته إلا مصلحة الدنيا، وهذا مما نازعه فيه أكثر الناس، وتكلموا فيه بكلام ليس هذا موضعه، كما تكلموا على ما ذكره في هذا الكتاب (جواهر القرآن) وغيره من كتبه...»^(١).

ويؤيد ابن تيمية رأيه في الردّ على ما ذهب إليه الغزالي - بأنّ مقاصد القرآن ستة: ثلاثة أصول، وثلاثة أخرى متممة لتلك الثلاثة الأصول - بما ورد في نصّ الحديث من أنّ القرآن ثلاثة أجزاء، وبما روي عن ابن سريج أيضًا أنّ القرآن ثلاثة أقسام^(٢).

ويعلّق ابن تيمية على المقصدين الرابع والخامس اللذين ذكرهما الإمام الغزالي ضمن المقاصد القرآنية الستة، وهما:

- ١ - تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم.
- ٢ - تعريف أحوال الناكبين والجاحدين والناكلين عن الإجابة.

(١) جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أنّ «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن، أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ص ١٤٥، ١٤٩. وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (١٢٠/١٧).

(٢) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ابن تيمية، ص ١٤٩. وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٢١/١٧).

فيجعلهما ابن تيمية من تمام الأدلة والآيات على الأصول الإيمانية الثلاثة السابقة التي تدخل تحت (المقاصد القرآنية الثلاثة المهمة) على ما قسمه الإمام الغزالي^(١).

ثالثاً: تعقيب ابن تيمية على تقسيم مقاصد القرآن إلى الألوهية والنبوة والتكليف:

ذكر القاضي عياض في كتابه: (إكمال المعلم بشرح مسلم) عند شرحه لحديث: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] تعدل ثلث القرآن؛ أن بعض العلماء استنبط مما ورد في أول سورة هود من آياتها الثلاث الأول أن مقاصد القرآن وموضوعاته ثلاثة:

المقصد الأول: الألوهية: استنبطه من قوله تعالى: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢].

المقصد الثاني: النبوة: استنبطه من قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُرْمٌ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ٢].

المقصد الثالث: التكليف: استنبطه من قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]^(٢).

(١) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ابن تيمية، ص ١٤٦، ١٤٨. وانظر أيضاً: مجموع الفتاوى، (١٧/ ١١٩-١٢١).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض بن موسى، (٣/ ١٧٩).

وذكر صاحب هذا التقسيم الموضوعي المقاصدي للقرآن أن آيات الوعد والوعيد والقصص داخله في المقصد الثاني أو الموضوع الثاني الذي هو (النبوة)؛ لأنها من أدلتها.

ولزيادة الفائدة أنقل نصّ كلام القاضي عياض: «قال بعضهم: قال الله تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَحْكَمُ أَيْنَهُ، ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]، ثم بين التفصيل فقال: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢]، فهذا فصل الألوهية، ثم قال: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ٢]، وهذا فصل النبوة، ثم قال: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]، فهذا فصل التكليف، وما وراءه من أمر الوعد والوعيد، وعامة أجزاء القرآن مما فيه من القصص من فصل النبوة؛ لأنها من أدلتها، وفهمها أيضاً، وهذا يدلّ على أن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] جمعت الفصل الأول»^(١).

وقد انتقد ابن تيمية هذا التقسيم الموضوعي المقاصدي للقرآن الكريم وردّه بكلام طويل، فيقول بعد أن نقل كلام القاضي عياض السابق عن بعض العلماء: «قلت: مضمون هذا القول أن معاني القرآن ثلاثة أصناف: الإلهيات، والنبوات، والشرائع. وأن هذه السورة منها الإلهيات، وجعل صاحب هذا القول

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض بن موسى، (٣/ ١٧٩).

الوعد والوعيد والقصص من قسم النبوة؛ لأنَّ ذلك مما أخبر به النبي ﷺ أو مما يدل على نبوته، وهذا القول ضعيف أيضًا، فإنَّه يقال: والأمر والنهي أيضًا مما جاء به النبي ﷺ، كما جاء بالوعد والوعيد، ويقال أيضًا: القصص تدل على الأمر والنهي كما تدل على النبوة، فإنَّها تدل على إكرامه لمن أطاعه، وعقوبته لمن عصاه، وهذا تقرير للأمر والنهي كما تقدّم، وأيضًا فإنَّ مقصود النبوة هو الإخبار بما أمر الله به، وبما أخبر به، وما دلَّ على إثبات النبوة من القصص يدل على إثبات ما جاء به النبي، وما دلَّ على إثبات ما جاء به النبي ﷺ يدل على الأمر والنهي الذي جاء به النبي ﷺ، فهما متلازمان...»^(١).

رابعًا: تقسيم آخر لمقاصد القرآن وموضوعاته في نظر ابن تيمية:

وبعد أن ذكر ابن تيمية مقاصد القرآن وموضوعاته عند الإمام الغزالي وغيره من العلماء واستدرك عليهم وناقشهم وانتقد آراءهم، ذكر تقسيمًا آخر لمقاصد القرآن وموضوعاته، وهو أن معاني القرآن -أي: مقاصده وموضوعاته- ثلاثة:

- المقصد الأول: التوحيد: وهو القسم الأول للخبر (الخبر عن الخالق).
- المقصد الثاني: القصص: وهو القسم الثاني للخبر (الخبر عن المخلوق).
- المقصد الثالث: الأحكام: وهو الإنشاء، وهو قسمان: الأمر والنهي.

(١) جواب أهل العلم والإيمان، ابن تيمية، ص ١٥٤، ١٥٦.

يقول ابن تيمية: «وقد بينّا أنّ أحسن الوجوه أنّ معاني القرآن ثلاثة أنواع: توحيد، وقصص، وأحكام. وهذه السورة صفة الرحمن فيها التوحيد وحده؛ وذلك لأن القرآن كلام الله، والكلام نوعان: إمّا إنشاء وإمّا إخبار، والإخبار إمّا خبر عن الخالق وإمّا خبر عن المخلوق؛ فالإنشاء هو الأحكام كالأمر والنهي. والخبر عن المخلوق هو القصص. والخبر عن الخالق هو ذكر أسمائه وصفاته. وليس في القرآن سورة هي وصف الرحمن محضاً إلا هذه السورة»^(١).

خامساً: الجدل في حصر مقاصد القرآن في عدد معيّن:

إنّ استدلال ابن تيمية بأنّ نصّ حديث النبي ﷺ الذي ورد بأنّ القرآن ثلاثة أجزاء أو أقسام - وليس ستة كما ذكرها الإمام الغزالي - يمكن ردّه بما ورد في الأحاديث الأخرى من أنّ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ [الزلزلة] تعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون] تعدل ربع القرآن^(٢).

(١) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ابن تيمية، ص ١٦٥. وانظر أيضاً: مجموع الفتاوى، (١٧/ ١٣٤).
(٢) الحديث الذي ورد بهذه الأعداد رواه الترمذي من رواية ابن عباس ؓ وضعفه، وقد ذكره ابن تيمية أيضاً إلا أنّه ذكر ضعفه، إلا أنّ حديث: «قل يا أيها الكافرون» تعدل ربع القرآن، قد رواه الطبراني في المعجم الكبير من رواية عبد الله بن عمر ؓ بإسناد حسن مع زيادة أنّ «إذا زلزلت» تعدل ربع القرآن، و«إذا جاء نصر الله» ربع القرآن. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألباني، حديث رقم: ٥٨٦، (٢/ ١٣٢). وانظر أيضاً: صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم: ٧٨٥٥، ص ٧٨٦.

وإضافة إلى هذا، إنَّ الإمام الغزالي لم ينفرد بتقسيم مقاصد القرآن وموضوعاته إلى ستة أقسام فقد سبقه إليه التابعي الجليل أبو إدريس عائذ بن عبد الله الخولاني (ت: ٨٠هـ) كما سبق ذكره في بداية المبحث الأول من هذا البحث.

والحقيقة التي يجب قولها: إنَّ مقاصد القرآن لا يمكن حصرها بعدد معيّن، وإنَّ أمكن حصر أصول مقاصد القرآن، إلّا أنَّ هذا الحصر قد يختلف عدده من مجتهدٍ إلى آخر؛ لأنَّها مسألة اجتهادية لا نصَّ فيها، والنصوص وإنَّ ذكّرت أعدادًا معيَّنة؛ إلّا أنَّها قد اختلفت، فقد ورد أنَّ القرآن نصفان، وورد أنه ثلاثة أجزاء، وورد أنه أربعة أجزاء، وهذا الاختلاف هو الذي يُؤيّد ما ذكرته من أنَّ المسألة اجتهادية؛ ويمكن للمجتهد أن يستضيء بهذه النصوص في تلمّس العدد المناسب الأقرب إلى هذه الأدلة والنصوص، والله تعالى أعلم وأحكم.

سادسًا: مقاصد القرآن الأصلية مُستقلّة غير قابلة للتّناب:

يؤكّد ابن تيمية في نهاية كلامه عن مقاصد القرآن وموضوعاته وتقسيمه لها إلى ثلاثة مقاصد بأنَّ أحاد هذه المقاصد القرآنية الأصلية وفروعها لا يمكن أن يسدَّ بعضها بعضًا، أو ينوب عنها، بل كلّ له عمله وثمرته لا يُستغنى عنه بغيره، والناس يحتاجون إلى هذه المقاصد مكتملة غير ناقصة، وإنَّ كان مقصد التوحيد هو أعلى هذه المقاصد منزلة وثمره، فيقول: «القرآن يحتاج الناس إلى

ما فيه من الأمر والنهي والقصص، وإن كان التوحيد أعظم من ذلك. وإذا احتاج الإنسان إلى معرفة ما أمر به وما نهى عنه من الأفعال، أو احتاج إلى ما يؤمر به ويعتبر به من القصص والوعد والوعيد لم يسدّ غيرُه مسدّه؛ فلا يسدّ التوحيد مسدّ هذا، ولا تسدّ القصص مسدّ الأمر والنهي، ولا الأمر والنهي مسدّ القصص، بل كلّ ما أنزل الله ينتفع به الناس ويحتاجون إليه»^(١).

ويؤكد ابن تيمية - كذلك - أنّ هناك تفاوتاً بين موضوعات القرآن ومقاصده، فبعضها أعلى وأشرف من بعض، وانطلق من بعض آيات القرآن والأحاديث النبوية التي جاءت بتفضيل بعض سور القرآن وآياته على بعض، على ما ذهب إليه جمهور العلماء، ومن الآيات التي استدل بها قوله تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ [يوسف: ٣]، وقوله تعالى:

﴿ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر: ٥٥]، وقوله تعالى:

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي ﴾ [الزمر: ٢٣]^(٢).

(١) جواب أهل العلم والإيمان، ابن تيمية، ص ١٦٩. وانظر أيضاً: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٣٧/١٧-١٣٨).

(٢) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ابن تيمية، ص ٣١، ٧١.

المطلب الثامن: جهود ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١ هـ):

أولاً: مقاصد القرآن عند ابن جزي الكلبي:

استخدم ابن جزي مصطلح (مقاصد القرآن)، و(علوم القرآن)، و(معاني القرآن)، في التعبير عن مقاصد القرآن وموضوعاته التي جاء من أجلها، وقسمها إلى قسمين:

القسم الأول: مقاصد القرآن على الجملة: وهي دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، وهذا المقصد الإجمالي ينقسم إلى قسمين:

أ- بيان العبادة التي دُعي الخلق إليها: وله فرعان، وهما: أصول العقائد، وأحكام الأعمال.

ب- ذكر بواعث العبادة التي دُعي الخلق إليها: وله فرعان، وهما: الترغيب، والترهيب.

القسم الثاني: مقاصد القرآن على التفصيل: حصر ابن جزي مقاصد القرآن على التفصيل في سبعة مقاصد، وهي: الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقصص^(١).

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، (١/ ١٤).

والذي يبدو من جهود ابن جزى في ذكر مقاصد القرآن وعلومه أنه لم يزد على ما ورد عند مَنْ تقدّمه في الكلام عن مقاصد القرآن، فقد وردت جميع المقاصد التي ذكرها عند الإمام الغزالي وابن برّجان وفخر الدين الرازي، وغيرهم.

ثانياً: موضوعات السور المكيّة والمدنيّة ومقاصدها عند ابن جزى:

ذكر ابن جزى موضوعات السور المكية والمدنية؛ فموضوعات السور المكية كما ذكرها ابن جزى هي:

- ١- إثبات العقائد.
- ٢- الردّ على المشركين.
- ٣- ذكر قصص الأنبياء.
- وأما موضوعات السور المدنية عند ابن جزى، فهي:
- ١- الأحكام الشرعية.
- ٢- الردّ على اليهود والنصارى.
- ٣- ذكر المنافقين.
- ٤- الفتوى في المسائل.
- ٥- ذكر غزوات النبي ﷺ.

يقول ابن جزري في المقدمة الأولى من تفسيره: «واعلم أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والردّ على المشركين، وفي قصص الأنبياء. وأن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي ﷺ»^(١).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزري الكلبي، (١/ ١٤).

المطلب التاسع: جهود ابن القيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ):

أولاً: موضوعات القرآن وأقسامه ومقاصده عند ابن القيم:

ذهب ابن القيم في كتابه: (الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة) إلى أنّ أقسام موضوعات القرآن عشرة، وذلك عند بيانه لزيغ مَنْ ضلَّ عن فهم عمومات القرآن وخصوصاته، وعَنَوْنَ لهذه الموضوعات العشرة للقرآن بقوله: «ذكر الوجوه التي تنقسم إليها معاني ألفاظ القرآن»^(١).

فابن القيم استخدم لفظ (معاني القرآن) وهو يريد به (موضوعات القرآن ومقاصده)؛ لأنَّ في آحاد هذه الموضوعات مقاصد قرآنية ذكرها من تكلم عن مقاصد القرآن، مثل: التعريف بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا ذكره الإمام الغزالي في (جواهر القرآن)، ومقصد (المعاد) ذكره جمهور من تكلم عن مقاصد القرآن، وكذلك (القصص) مما ذكره الجمهور في مقاصد القرآن بتعبيرات مختلفة، و(الأمثال) ذكره أيضاً بعض من تحدّث عن مقاصد القرآن.

وأما تلك المقاصد والموضوعات القرآنية العشرة التي ذكرها ابن القيم،

فهي:

(١) انظر: الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، ابن القيم، (٢/ ٦٨٤).

القسم (المقصد) الأول: تعريفه سبحانه نفسه لعباده بأسمائه وصفاته كماله، ونعوت جلاله، وأفعاله، وأنه واحد لا شريك له، وما يتبع ذلك.

القسم (المقصد) الثاني: ما استشهد به على ذلك من آيات قدرته وآثار حكمته فيما خلق وذراً في العالم الأعلى والأسفل من أنواع بريته وأصناف خليقته.

القسم (المقصد) الثالث: ما اشتمل عليه بدء الخلق وإنشاؤه ومادته وابتداعه له، وسبق بعضه على بعض، وعدد أيام التخليق، وخلق آدم وإسجاد الملائكة، وشأن إبليس وتمردّه وعصيانه، وما يتبع ذلك.

القسم (المقصد) الرابع: ذكر المعاد والنشأة الأخرى وكيفيته وصورته، وإحالة الخلق فيه من حال إلى حال، وإعادة خلقهم خلقاً جديداً.

القسم (المقصد) الخامس: ذكر أحوالهم في معادهم وانقسامهم إلى شقي وسعيد، ومسرور بمنقلبته ومثبور به، وما يتبع ذلك.

القسم (المقصد) السادس: ذكر القرون الماضية، والأمم الخالية، وما جرى عليهم وذكر أحوالهم مع أنبيائهم، وما نزل بأهل العناد والتكذيب منهم من المثلات، وما حلّ بهم من العقوبات؛ ليكون ما جرت عليه أحوال الماضين عبرة للمعاندين فيحذروا سلوك سبيلهم في التكذيب والعصيان.

القسم (المقصد) السابع: الأمثال التي ضربها لهم، والمواعظ التي وعظهم بها، ينبههم بها على قدر الدنيا وقصر مدتها وآفاقها؛ ليزهدوا فيها ويتركوا الإخلاد إليها، ويرغبوا فيما أعدَّ لهم في الآخرة من نعيمها المقيم وخيرها الدائم.

القسم (المقصد) الثامن: ما تضمنه من الأمر والنهي والتحليل والتحريم، وبيان ما فيه طاعته ومعصيته، وما يحبه من الأعمال والأقوال والأخلاق وما يكرهه ويبغضه منها، وما يقرب إليه ويدني من ثوابه، وما يبعد منه ويدني من عقابه. وقسم ابن القيم هذا القسم إلى فروض فرضها، وحدود حدّها، وزواجر زجر عنها، وأخلاق وشيم رغب فيها.

القسم (المقصد) التاسع: ما عرفهم إياه من شأن عدوهم ومداخله عليهم، ومكايدهم لهم، وما يريد بههم، وعرفهم إياه من طريق التحصن منه، والاحتراز من بلوغ كيدهم منهم، وما يتداركون به ما أصيبوا به في معركة الحرب بينهم وبينه، وما يتبع ذلك.

القسم (المقصد) العاشر: ما يختص بالسفير بينه وبين عباده عن أوامره ونواهيه، وما اختصه به من الإباحة والتحريم، وذكر حقوقه على أمته، وما يتعلق بذلك^(١).

(١) انظر: الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، ابن القيم، (٢/ ٦٨٤-٦٨٦).

قال ابن القيم بعد أن ذكر هذه الموضوعات والمقاصد العشرة للقرآن: «فهذه عشرة أقسام عليها مدار القرآن»^(١). والقسم الأول من مقاصد القرآن العشرة التي ذكرها ابن القيم هي أكثر مقاصد القرآن بياناً وإيضاحاً في آيات القرآن؛ وذلك لضرورة معرفته عند الخلق، وقد شرح ذلك ابن القيم^(٢).

وذكر ابن القيم تقسيماً آخر لموضوعات القرآن ومقاصده من حيث الخبر والإنشاء، فذهب إلى أن القرآن يشتمل على خمسة أقسام أو موضوعات، وهي:

١- الأمر.

٢- النهي.

٣- الإباحة.

٤- الخبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه.

٥- الخبر عن الخلق (العباد).

يقول ابن القيم في كتابه (زاد المعاد): «إنَّ القرآن مداره على الخبر والإنشاء، والإنشاء ثلاثة: أمر، ونهي، وإباحة. والخبر نوعان: خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه، وخبر عن خَلْقِهِ»^(٣).

(١) الصواعق المرسلّة على الجهميّة والمعطلّة، ابن القيم، (٢/ ٦٨٤-٦٨٦).

(٢) انظر: الصواعق المرسلّة على الجهميّة والمعطلّة، ابن القيم، (١/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، (١/ ٣٠٦-٣٠٧).

وتقسيم القرآن إلى الخبر والإنشاء كما ذكره ابن القيم في هذا النصّ قد سبقه إلى ذلك شيخه ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ** في كلامه الذي سبق في مبحث مقاصد القرآن عنده ^(١).

وقد اختار الزركشي في البرهان تقسيم القرآن إلى (الخبر) و(الإنشاء)، مُتَّبِعًا لابن القيم وشيخه ابن تيمية فقال في معنى قوله **رَحِمَهُ اللهُ** أَنَّ سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن: «وأحسن ما قيل فيه: إِنَّ القرآن قسمان: خبر وإنشاء، والخبر قسمان: خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق، فهذه ثلاثة، وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق؛ فهي بهذا الاعتبار ثلث القرآن» ^(٢).

ويُعِيدُ ابن القيم التدبُّر في القرآن، ويلاحظ أَنَّ موضوعات القرآن لا تخرج عن أمرين، وأنَّ مقصوده التعريف بأمرين مهمَّين، وهما:

١ - التعريف بالدنيا وأحكامها، ومتعلقاتها، والأُمور الواقعة فيها من أفعال المكلفين وغيرها.

٢ - التعريف بالآخرة وما يقع فيها.

يقول ابن القيم في كتابه (زاد المعاد): «ولمَّا كان القرآن شطرين: شطرًا في الدنيا وأحكامها ومتعلقاتها، والأُمور الواقعة فيها من أفعال المكلفين وغيرها،

(١) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ابن تيمية، ص ١٦٥. وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى، (١٧/١٣٤).

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (١/٤٤٦).

وشطرًا في الآخرة وما يقع فيها، وكانت سورة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة] قد أُخْلِصَتْ من أولها وآخرها لهذا الشُّطر، فلم يُذكر فيها إلا الآخرة وما يكون فيها من أحوال الأرض وسكّانها، كانت تعدل نصف القرآن^(١).

ثانيًا: دوران القرآن على معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْثُ﴾ في نظر ابن القيم:

إذا كان جمهور العلماء الذين تحدثوا عن مقاصد القرآن وغيرهم يذهبون إلى أن الفاتحة قد جمعت مقاصد القرآن كله؛ فإن ابن القيم يرى أن في الفاتحة آية واحدة قصيرة مشتملة على كلمتين، وهاتان الكلمتان قد جمعتا مقاصد القرآن كله، أي إن سرَّ الفاتحة ومقصدها قد جُمع في هاتين الكلمتين.

وجمّع مقاصد القرآن في آية واحدة لم ينفرد به ابن القيم، فقد جمعها من قبله ابن العربي - كما سبق ذلك عنه - في بعض آيات القرآن التي هي بمثابة الآيات الكليات في جمع مقاصد القرآن وموضوعاته كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وكقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادَةٍ﴾ [الدخان:

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، (١/٣٠٧).

[٣٨]، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]^(١).

وكذلك سبق عن فخر الدين الرازي جمعه لمقاصد القرآن في آيتين، وهما:
قوله تعالى في سورة هود: ﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ٢]^(٢)، وفي
قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]^(٣).

وذهب ابن القيم إلى أن القرآن لا يخرج عن معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾، وبعد أن فسر الآية ذهب إلى أن القرآن يدور حول هذه الكلمة،
أي: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فقال: «القرآن مداره على هذه
الكلمة، وتأمل كيف يدور القرآن كله من أوله إلى آخره عليهما، وكذلك الخلق،
والأمر والثواب والعقاب والدنيا والآخرة، وكيف تَضَمَّنَتْ لأجل الغايات،
وأكمل الوسائل، وكيف أتى بهما بضمير المخاطب الحاضر، دون ضمير
الغائب، وهذا موضوع يستدعي كتاباً كبيراً، ولولا الخروج عما نحن بصدد

(١) انظر: قانون التأويل، ابن العربي، ص ٥٤٢.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (١٧/ ٣١٤).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٢٦/ ٢٣٣).

لأوضحناه وبسطناه، فَمَنْ أراد الوقوف عليه فقد ذكرناه في كتاب: (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، وفي كتاب: (الرسالة المصرية)^(١).

ويقول ابن القيم أيضًا: «وسرّ الخلق والأمر، والكتب والشرائع، والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين، وعليهما مدار العبودية والتوحيد، حتى قيل: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب، جمّع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن، وجمع معاني القرآن في المفصّل، وجمع معاني المفصّل في الفاتحة، ومعاني الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده نصفين، فنصفهما له تعالى، وهو (إياك نعبد)، ونصفهما لعبده، وهو (إياك نستعين)»^(٢).

وإذا كان بعض علماء مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن يذهبون إلى أنّ مقصد الشريعة ومقصد القرآن هو صلاح العبد وسعادته في الدنيا والآخرة، فإنّ ابن القيم يرى أنّ ذلك لا يتمُّ إلاّ بتحقيق معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فيقول ابن القيم: «صلاح العبد وسعادته في تحقيق معنى قوله:

(١) أسرار الصلاة، ابن القيم، ص ١٥-١٦.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (١/ ٩٥)؛ و: الصلاة وأحكام تاركها، ابن القيم، ص ١٤٤.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب لكن على أكمل الوجوه، والمستعان هو الذي يُستعان به على المطلوب...، وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين في مواضع من كتابه ^(١)؛ كقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله عن نبيّه شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقولـه: ﴿وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ^(٨) رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٨-٩]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقوله عن الحنفاء أتباع إبراهيم ^(٩): ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤] ^(٢).

(١) هذه المواضع هي سبعة مواضع كما صرّح بذلك ابن القيم في كتابه: (طريق الهجرتين وباب السعادتين)، قال: «معنى قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ فإن هذه العبادة تتضمن المقصود المطلوب على أكمل الوجوه، والمستعان هو الذي يُستعان به على حصول المطلوب ودفع المكروه...، وفي القرآن سبعة مواضع تنتظم هذين الأصلين». طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، ص ٩٧. وقال ابن القيم بعد أن ذكر هذه المواضع السبعة: «فهذه السبعة مواضع جمعت الأصول: التوكل وهو الوسيلة، والإنابة وهي الغاية. فإنّ العبد لا بدّ له من غاية مطلوبة ووسيلة موصلة إلى تلك الغاية، فأشرف غاياته التي لا غاية له أجلّ منها عبادة ربه والإنابة إليه، وأعظم وسائله التي لا وسيلة له غيرها البتة التوكل على الله والاستعانة به، ولا سبيل له إلى هذه الغاية إلّا بهذه الوسيلة، فهذه أشرف الغايات وتلك أشرف الوسائل». طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، ص ٣٨٧.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، (١/ ٢٧).

ثالثاً: اهتمام ابن القيم ببيان مقاصد السُّور القرآنية:

إنَّ الاهتمام بمقاصد السُّور القرآنية مما قلَّ عند أكثر المتقدمين، ولا تجد لهم كلاماً في بيان مقاصد السور إلا السور التي وردَ فيها الفضل بسبب جلالة مقصدها؛ مثل سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص، وسورة الزلزلة، وسورة الكافرون. ويمكن اعتبار ابن القيم من أوائل من اهتمَّ ببيان مقاصد السور، وذلك قبل الإمام البقاعي الذي اشتهر بالسُّبق في خوض هذا الميدان. وسبب عدم معرفة إسهامات وجهود ابن القيم في بيان مقاصد السور هو عدم من تصدَّى للبحث عن هذا الجانب في مؤلفاته، وعدم تأليفه لكتاب مستقلٍّ في التفسير الذي وعد بتأليفه فعاجلته المنية قبل الشروع فيه، كما ذكر ذلك في كتابه (بدائع الفوائد)^(١). وحتى الذين كتبوا عن جهوده في التفسير أو الذين جمعوا أقواله في التفسير لم يسيروا إلى اهتمامه بفنِّ مقاصد السور والآيات.

ومن أهم مؤلفات ابن القيم التي اهتم فيها ببيان مقاصد السور كتابه في أقسام القرآن المسمَّى: (البيان في أقسام القرآن)، وكذلك ظهر اهتمام ابن القيم ببيان مقاصد بعض السور القرآنية في كتابه: (بدائع الفوائد)، وكتاب: (الفوائد)، وكتاب: (الفيء الذي يُعتبر تأليفاً مفرداً لبيان مقاصد سورة الفاتحة، وهو كتاب: (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

(١) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم، (١/ ١٤١-١٤٢).

اهتمّ ابن القيم ببيان مقاصد السور القرآنية وبيان ما أُخْلِصت السورة له من الأغراض والمقاصد والموضوعات، ويعبّر عن ذلك بأساليب كثيرة، وبعبارات مختلفة، كما سيأتي نماذج ذلك عنه في هامش هذا البحث؛ فمن السور التي ذكر لها مقاصد وأغراض: سورة الفاتحة^(١)، وسورة ق^(٢)، وسورة الشمس^(٣)، وسورة الفجر^(٤)، وسورة البلد^(٥)، وسورة البروج^(٦)،

(١) يقول ابن القيم عنها: «وهي متضمنة لأجل الغايات وأفضل الوسائل؛ فأجل الغايات عبوديته وأفضل الوسائل إعانته، فلا معبود يستحق العبادة إلاّ هو ولا مُعِين على عبادته غيره، فعبادته أعلى الغايات وإعانته أجل الوسائل. وقد أنزل الله سبحانه وتعالى مائة كتاب وأربعة كتب، جمّع معانيها في أربعة، وهي: التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وجمع معانيها في القرآن، وجمع معانيه في المفصّل، وجمع معانيه في الفاتحة، وجمع معانيها في: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَآلَكَ فَسَبِّحْ﴾، وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد، وهما: توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية». (الصلاة وأحكام تاركها، ابن القيم، ص ٢٠٥).

(٢) ذكر ابن القيم أن السورة: «تضمنت تقرير المبدأ والمعاد والتوحيد والنبوة والإيمان بالملائكة، وانقسام الناس إلى هالك شقي وفاتر سعيد، وأوصاف هؤلاء وهؤلاء، وتضمّنت إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه عمّا يضادّ كماله من النقائص والعيوب، وذكر فيها القيّامين: الصغرى والكبرى، والعالمين: الأكبر وهو عالم الآخرة والأصغر وهو عالم الدنيا، وذكر فيها خلق الإنسان ووفاته وإعادته وحاله عند وفاته ويوم معاده وإحاطته سبحانه به من كل وجه». (الفوائد، ص ٥).

(٣) ذكر ابن القيم أن السورة سبقت للتوحيد. انظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، ص ٢٣.

(٤) ذكر ابن القيم ما تضمّنته السورة من موضوعات ومقاصد انظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، ص ٣٣.

(٥) قال في آخر السورة: «فتأمل هذه السورة على اختصارها وما اشتملت عليه من مطالب العلم والإيمان، وبالله التوفيق». التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، ص ٣٩.

(٦) ذكر أن السورة قد اشتملت على اختصارها على التوحيد، والإعادة المتضمن لتوحيد ربوبيته، وأنها كتاب مستقلّ في أصول الدين تكفي من فهمها. انظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، ص ٩٧-٩٨.

وسورة المرسلات^(١)، وسورة القيامة^(٢)، وسورة يس^(٣)، وسورة الكافرون^(٤)،
وسورة السجدة وسورة الإنسان^(٥).

وقد بين ابن القيم عند ذكر مقصد سورة الكافرون أنه لم يستعين بأي تفسير في معرفة مقاصد تلك السورة وغيرها من السور القرآنية، بل كان ذلك من استلهام الله له ومما وهبه الله من العلم والفضل في استخراج تلك المقاصد، وقد نوى في نفسه أن يكتب كتاباً يحتوي على ذكر مقاصد السور وفوائدها

(١) ذكر أن مقصدها هو ذكر المبدأ والمعاد. انظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، ص ١٤٦.

(٢) أشار ابن القيم إلى أنها تضمنت ذكر المبدأ والمعاد والقيامة الصغرى والكبرى، وأحوال الناس في المعاد وانقسام وجوههم إلى ناظرة منعمة وباسرة معدبة، وتضمنت وصف الروح. انظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، ص ١٥٣.

(٣) ذكر أن فيها من التوحيد والمعاد والبشرى بالجنة لأهل التوحيد وغبطة من مات عليه. انظر: الروح، ابن القيم، ص ١١.

(٤) ذكر ابن القيم أن مقصد هذه السورة الأعظم هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين، فقال: «فمقصودها الأعظم هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين؛ ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقاً للبراءة المطلوبة...، ولهذا كان النبي ﷺ يقرنها بسورة: (قل هو الله أحد) في سنة الفجر وسنة المغرب». بدائع الفوائد، ابن القيم، (١/١٣٨).

(٥) ذكر ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أن مقصد سورة السجدة وسورة الإنسان هو ذكر ما كان وما يكون يوم الجمعة؛ لذا روي عن النبي ﷺ استحباب قراءتهما يوم الجمعة، فإنهما اشتملتا على خلق آدم، وعلى ذكر المعاد وحشر العباد، وذلك يكون يوم الجمعة، وكان في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون. انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، (١/٣٦٤).

وموضوعاتها، يقول ابن القيم: «فهذا ما فتح الله العظيم به من هذه الكلمات اليسيرة والنبذة المشيرة إلى عظمة هذه السورة وجلالتها ومقصودها وبديع نظمها، من غير استعانة بتفسير ولا تتبّع لهذه الكلمات من مظانّ توجد فيه، بل هي استملاء مما علّمه الله وألهمه بفضلله وكرمه، والله يعلم أني لو وجدت في كتاب لأضفتها إلى قائلها ولبالغت في استحسانها، وعسى الله المانّ بفضلله الواسع العطاء الذي عطاؤه على غير قياس المخلوقين أن يُعين على تعليق تفسير هذا النمط وهذا الأسلوب، وقد كتبت على مواضع متفرقة من القرآن بحسب ما يسنح من هذا النمط وقت مقامي بمكة وبالبیت المقدّس، والله المرجوّ إتمام نعمته»^(١).

رابعاً: الترجيح بين اختلاف المفسرين بالنظر إلى مقصد السورة عند ابن القيم:

وعند حديث ابن القيم عن اختلاف المفسرين في الضمير المستتر في الفعل (دَسَّاهَا) الوارد في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠]؛ حيث جعله بعضهم راجعاً إلى الإنسان، وجعله الآخرون راجعاً إلى الله تعالى، فقد رجّح ابن القيم القول الثاني اعتماداً على أن مقصد السورة هو التوحيد، وهو الذي يتوافق مع القول الثاني الذي يُرجع الضمير إلى الله، وهذا الترجيح جميل جداً،

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم، (١/ ١٤١-١٤٢).

ولم أرَ مثل هذا الترجيح الذي يُراعي مقصد السورة وأغراضها عند الاختلاف -حسب اطلاعاتي- عند أحد من المفسرين غيره.

يقول ابن القيم: «وقال أبو العباس: سألت ابن الأعرابي عن قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾، فقال: (دَسَّى) معناه: دَسَّ نفسه مع الصالحين وليس منهم، وعلى هذا فالمعنى: أخفى نفسه في الصالحين، يرى الناس أنه منهم وهو منطوي على غير ما ينطوي عليه الصالحون. وقال طائفة أخرى الضمير يرجع إلى الله سبحانه، قال ابن عباس في رواية عطاء: قد أفلحت نفسٌ زكاها الله وأصلحها. وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي وسعيد بن جبير ومقاتل، قالوا: سعدت نفسٌ وأفلحت نفسٌ أصلحها الله وطهرها ووفَّقها للطاعة حتى عملت بها، وخابت وخسرت نفس أضلَّها الله وأغواها وأبطلها وأهلكها. قال أرباب هذا القول: قد أقسم الله بهذه الأشياء التي ذكرها لأنها تدلُّ على وحدانيته، وعلى فلاح مَنْ طهره وخسارة مَنْ خذله، حتى لا يظن أحد أنه هو الذي يتولى تطهير نفسه وإهلاكها بالمعصية من غير قَدَرٍ سابق، وقضاءٍ متقدِّم، قالوا: وهذا أبلغ في التوحيد الذي سيقَّت له هذه السورة...»^(١).

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، ص ٢٣.

سادساً: مناسبة الحروف المقطّعة في أوائل السور بمقاصد سورها عند ابن القيم:

من المباحث التي اكتشفها الباحث عند البحث عن جهود ابن القيم في مقاصد القرآن ومقاصد السور، هو موقف ابن القيم مع (الحروف المقطّعة)، وبيان مناسبتها للمقصد الذي سيقت من أجله السورة، ومن النماذج التي ساقها السور القرآنية التي افتتحت بـ ﴿الذِّكْرِ﴾، فذكر أن (الهمزة) هو أول المخارج، واللام من وسط المخارج، والميم آخر الحروف، ومخرجه من الفم، وسرّ ترتيب هذه الحروف الثلاثة هو التدرّج من البداية إلى الوسط ثم النهاية، فذكر أن أغلب السور القرآنية التي افتتحت بهذه الأحرف الثلاثة متضمّنة لمقصد المبدأ والوسط والنهاية. يقول ابن القيم بيان ما سبق: «تأمل سرّ ﴿الذِّكْرِ﴾...» اشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينهما، وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسطه؛ فمشتملة على تخليق العالم وغايته وعلى التوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر، فتأمل ذلك في البقرة، وآل عمران، وتنزيل السجدة، وسورة الروم»^(١).

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم، (٣/ ١٧٣).

والنموذج الثاني لهذا النوع من العلاقة بين الحرف المقطوع ومقصد
السورة الذي سيقى السورة من أجله هو سورة [ص]، فإن ابن القيم ذهب إلى
أن هذا الحرف أحد حروف كلمة: (الخصومة) التي هي موضوع السورة،
ومقصدها بيان أنواع الخصومات^(١).

(١) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم، (٣/ ١٧٤).

المطلب العاشر: جهود أبي إسحاق الشاطبي (ت: ٧٩٠ هـ):

مما اشتهر عند أكثر الباحثين أنَّ الشاطبي هو المؤسس لعلم مقاصد الشريعة، وهو أبرز من تحدّث عن مقاصده، وبالأخصّ في كتابه: (الموافقات)، لكن مما بدأ للباحث بعد كتابة هذا البحث هو أنَّ حديث الشاطبي عن المقاصد ليس خاصًّا بمقاصد الشريعة فحسب؛ بل شمل أيضًا مقاصد القرآن الكريم ومباحثه على التقسيم الثلاثي للمقاصد القرآنية^(١)، أعني: مقاصد الآيات (المقاصد التفصيلية)، ومقاصد السور، والمقاصد العامة الكلية للقرآن الكريم.

وقد ظهر نزوع الشاطبي إلى التأصيل المقاصدي على مباحث دليل الكتاب (القرآن)، بدءًا بمباحث القرآن الكريم وما يتعلق به من تفسير بعض نصوصه، واستثمار مقاصده، ومنتجاته التشريعية والهدائية، وكونه أصلًا لِمَا عدّاه من الأدلة وحاكمًا عليها، ومباحث في علوم القرآن؛ من خصائص السور المكية والمدنية وموضوعاتهما، وغير ذلك من القضايا التي بسطها الشاطبي في كتاب (الموافقات)، كما سيأتي في المباحث الآتية.

(١) ذكر هذا التقسيم الأستاذ الدكتور أحمد الريسوني في بحثه بعنوان: جهود الأمة في مقاصد القرآن، انظر: بحوث مؤتمر: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم، ص ١٩٦٢.

أولاً: تعريف مقاصد القرآن عند الشاطبي:

مما ذكره كثير من الباحثين الذين بحثوا عن مقاصد القرآن عند الشاطبي كالأستاذ الدكتور أحمد الريسوني^(١)، والدكتور مراد بلخير^(٢) وغيرهما، أنه لم يعرف مقاصد القرآن بتعريف اصطلاحى، وإنما أشار إشارة بعيدة ولم يصرّح، يقول الدكتور مراد بلخير: «ولم يرد عن الشاطبي تعريف خاص للمقاصد، سواء مقاصد القرآن أو مقاصد الشريعة، لكن بتتبع توظيف الشاطبي لمصطلح مقاصد القرآن -تصريحاً أو ضمناً- في كتابي (الموافقات) و(الاعتصام)، يمكن أن نستجلي تعريفاً خاصاً به»^(٣).

وبعد أن ذكر الدكتور مراد بلخير استخدام الشاطبي لمصطلح مقاصد القرآن في كتابه، توصل إلى أن نظرة الشاطبي لمقاصد القرآن أو تعريف مقاصد

(١) انظر كتابه: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص ١٧.

(٢) انظر بحثه عن مقاصد القرآن عند الشاطبي بعنوان: مقاصد القرآن عند الشاطبي؛ دراسة تأصيلية.

انظر: مجلة المعيار، مجلد: ٢٣، العدد: ٤٦، سنة: ٢٠١٩م، ص ٣٢-٣٣.

(٣) مقاصد القرآن عند الشاطبي؛ دراسة تأصيلية، د. مراد بلخير، مجلة المعيار، العدد: ٤٦، سنة:

٢٠١٩م، ص ٣٣.

القرآن عند الشاطبي هو: (مقاصد القرآن: هي المعاني الكلية للتنزيل، والمعبرة عن أغراضه التشريعية والهدائية)^(١).

ولكنني وجدت تصريحاً عند الشاطبي في بحث مقاصد القرآن؛ أنه حاول إيجاد تعريفٍ لمقاصد القرآن جامعٍ لشتات ما ذكره مَنْ تكلم عن مقاصد القرآن وموضوعاته، فقال معرّفاً له ومُسْتَعْرِضاً لبعض الأمثلة في فهم مقاصد القرآن: «وكلّ ما كان من المعاني التي تقتضي تحقيق المخاطب بوصف العبودية، والإقرار لله بالربوبية؛ فذلك هو الباطن المراد [مقاصد القرآن]، والمقصود الذي أنزل القرآن لأجله»^(٢).

وهذا التعريف أصلٌ تدخل فيه جميع المقاصد القرآنية التي ذكرها العلماء من قَبْل الشاطبي ومن بعده، فالإمام الغزالي جمَعَ مقاصد القرآن الستة في دعوة العباد إلى العبودية والربوبية^(٣).

وكذلك نجد ابن العربي يؤكّد مثل ما ذكره الغزالي، حيث أرجع علوم القرآن (مقاصد القرآن) إلى بعض الآيات القرآنية التي تحقّق العبودية

(١) مقاصد القرآن عند الشاطبي؛ دراسة تأصيلية، د. مراد بلخير، مجلة المعيار، العدد: ٤٦، سنة: ٢٠١٩م، ص ٣٤.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/ ٢١٨).

(٣) انظر: جواهر القرآن ودرره، الغزالي، ص ٢٣.

والربوبية لله تعالى؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)
[الذاريات: ٥٦]، وكقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادَةٍ﴾ [الدخان: ٣٨]، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]^(٢).

وكذلك نجد مثل ما ذكره الغزالي وابن العربي عند ابن تيمية، حيث أثبت أن مقاصد القرآن من القصص والنبوة والمعاد وغيرها راجعة إلى توحيد العبادة وتوحيد الألوهية (إلهيات)، وإن كان مقصد التوحيد لا يستغني بنفسه عن بقية المقاصد^(٣).

ونجد مثل ما سبق عن الشاطبي والغزالي وابن العربي وابن تيمية عند ابن جزري فيقول: «فاعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ثم إن هذا المقصد يقتضي أمرين لا بدّ منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كلّها، أحدهما: بيان العبادة التي دُعي الخلق إليها، والأخرى: ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وترددهم إليها»^(٣).

(١) انظر: قانون التأويل، ابن العربي، ص ٥٤٢.

(٢) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ابن تيمية، ص ١٥٤، ١٥٦.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزري، (١ / ١٤).

ويُوضَّح الشاطبي تعريفه لمقاصد القرآن بذكر بعض الأمثلة من القرآن على ما عرّف به مصطلح (مقاصد القرآن)، ويبين أنّ فهم مقاصد القرآن ليس بفهم ظاهر المعاني اللغوية للألفاظ والعبارات - وإن كانت هي وسيلة إلى فهم تلك المقاصد - وإنما تفهم المقاصد بالغوص في باطن المعاني القرآنية عن طريق التدبر والاعتبار القرآني كما اصطلاح عليه الشاطبي^(١)، كما سيأتي بيان ذلك في مبحث مصطلحات المقاصد عند الشاطبي.

ثانيًا: المصطلحات المشابهة والمتعلقة بمصطلح (مقاصد القرآن) عند الشاطبي:

وقد تبين لي من خلال قراءة كتاب الأدلة الشرعية ومبحث (دليل الكتاب) من كتاب (الموافقات) عند حديث الشاطبي عن (تفسير ظاهر القرآن وباطنه) كثرة تعرّضه لمقاصد القرآن وتدبره، وقد ذكر أمثلة كثيرة للمنحرفين عن فهم مقاصد القرآن، ويعبر الشاطبي ضمّنًا عن مقاصد القرآن بـ (باطن القرآن)، أو (باطن المراد)، أو (باطن الخطاب)، أو (الاعتبار القرآني). يقول الشاطبي بعد أن نقل ما روي عن الحسن البصري [من مراسيله] أنّه قال: «ما أنزل الله آية إلاّ ولها ظهر وبطن - بمعنى ظاهر وباطن» [قال الشاطبي]: «وفُسِّرَ بأنّ الظاهر والظاهر هو ظاهر التلاوة، والباطن هو الفهم عن الله لمراده؛ لأن الله تعالى قال:

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/٢١٨).

﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]. والمعنى: لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب، ولم يرد أنهم لا يفهمون نفس الكلام، كيف وهو منزل بلسانهم؟ ولكن لم يحظوا بفهم مراد الله من الكلام»^(١).

وقد أكد الشاطبي أن انحراف المنحرفين وضلال الفرق العقيدية والكلامية في فهم القرآن هو بسبب عدم فهمهم لباطن القرآن (مقاصد القرآن)، فقال بعد أن ذكر أمثلة تفاسير المُشَبَّهة والمُعْطَلة والخوارج وتأويلاتهم لآيات القرآن: «...وهكذا المشبَّهة لو حققت معنى قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] في الآيات المذكورة لفهموا بواطنها، وأن الربَّ منزَّه عن سمات المخلوقين. وعلى الجملة، فكلُّ مَنْ زَاغَ وَمَالَ عن الصراط المستقيم؛ فبمقدار ما فاتته من باطن القرآن [مقاصد القرآن] فهمًا وعِلْمًا، وكلُّ مَنْ أَصَابَ الْحَقَّ وَصَادَفَ الصَّوَابَ؛ فعلى مقدار ما حصل له من فهم باطنه [مقاصد القرآن]»^(٢).

وأما اصطلاح (الاعتبار القرآني) الذي يمكن إطلاقه على وسيلة استنباط مقاصد القرآن، أو على مصطلح (مقاصد القرآن) نفسه، فقد ورد عند الشاطبي في المسألة العاشرة من مسائل (دليل الكتاب)، وخلاصة ما ذكره تحت هذه

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/٢٠٨).

(٢) المرجع السابق، (٤/٢٢٣).

المسألة أن فهم واستنباط (الاعتبار القرآني) أو (مقاصد القرآن) يُشترط في صحته وقبوله شرطان:

الشرط الأول: ما يكون أصل انفجاره من القرآن (الاعتبار القرآني):

ويقصد الشاطبي بهذا الشرط أن يكون استنباط المفسر لمقاصد القرآن من القرآن نفسه، ومن تدبر آياته وسوره، لا من النظر في غير ما ورد في القرآن من العلوم والمعارف غير القرآنية. ويقرر الشاطبي أن وجود هذا الشرط فيما استنبطه المفسر من مقاصد القرآن يجعله مقبولا، فيقول: «فهم القرآن، إنما يرد على القلوب على وفق ما نزل له القرآن [أي: فهم القرآن يكون بفهم مقاصده]، وهو الهداية التامة على ما يليق بكل واحد من المكلفين وبحسب التكليف وأحوالها، لا بإطلاق، وإذا كانت كذلك؛ فالمشي على طريقها مشي على الصراط المستقيم»^(١).

ويؤكد الشاطبي أن استنباط مقاصد القرآن لا يتصدى له إلا من كان من أهل القرآن وتدبره والعمل به، سواء كان عمله بالقرآن بصفة كونه مجتهدا أو مقلدا، ويذهب إلى أن الشاهد على ذلك ما نقل من فهم السلف الصالح في القرآن؛ فإنه كله جارٍ على مقتضى اللغة العربية، وما تدل عليه الأدلة الشرعية^(٢).

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٢٥٣/٤).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٢٥٣/٤).

الشرط الثاني: ما يكون أصل انفجاره من الموجودات؛ جزئياً أو كلياً (الاعتبار الوجودي):

ويقصد الشاطبي بهذا الشرط أنه يمكن استنباط بعض مقاصد القرآن باستخدام العلوم التي تخدم القرآن من علوم الكون والوجود وغيرها، وإن لم يكن أصلها منه، إلا أنه ذكر أن الاعتماد على العلوم والمعارف غير القرآنية في فهم مقاصد القرآن واستنباطها ليس على إطلاقه، بل هي متوقفة على جريانها على الشروط المتقدمة في فهم مقاصد القرآن، ويصح تنزيله على معاني القرآن؛ لأنه وجودي أيضاً، فهو مشترك من تلك الجهة غير خاص، فلا يطالب فيه بالمعتبر بشاهد موافق^(١).

ثم أشار الشاطبي إلى جهود الإمام الغزالي في الحديث عن (الاعتبار القرآني)، أي: مقاصد القرآن واستنباطها في مؤلفاته، مما يدل على أن مقصوده بمصطلح (الاعتبار القرآني) هو طريقة استنباط مقاصد القرآن والكشف عنها، فقال بعد أن ذكر هذين الشرطين في استنباط مقاصد القرآن: «وللغزالي في (مشكاة الأنوار)، وفي كتاب الشكر من (الإحياء)، وفي كتاب (جواهر القرآن)، في الاعتبار القرآني وغيره ما يتبين به لهذا الموضع أمثلة؛ فتأملها هناك، والله الموفق للصواب»^(٢).

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/٢٥٣-٢٥٤).

(٢) المرجع السابق، (٤/٢٥٥).

ثالثاً: موضوعات القرآن ومقاصده في نظر الشاطبي:

ذكر الشاطبي مقاصد القرآن وموضوعاته في كتابه: (الموافقات)، واستخدم مصطلح (علوم القرآن) بدل مصطلح (مقاصد القرآن)، إلا أنه ذكر أن علوم القرآن التي ذكرها هي (المقصود الأول بالذكر)، أي: هي ما يهدف القرآن إلى بيانها؛ وبهذا يكون مستخدماً لمصطلح (مقاصد القرآن) أيضاً، وذكر الشاطبي أن مقاصد القرآن وموضوعاته قد ذكرها العلماء واستنبطوها من نصوص القرآن من منطوق آياته ومفهومها حسب ما يدل عليه فهم القرآن بلغته العربية الفصيحة، وحصر الشاطبي مقاصد القرآن في ثلاثة مقاصد مستفيداً بجهود الغزالي ومستضيئاً بما ذكر في ذلك، وهي:

الأول: معرفة الله الذي هو المعبود سبحانه.

الثاني: معرفة كيفية عبادة الله.

الثالث: معرفة الآخرة التي بها يعرف العبد ثواب عمله الصالح أو عقاب عمله السيئ.

وذكر الشاطبي أن أهم هذه الثلاثة هو الثاني؛ أي: عبادة الله تعالى وتوحيده، فإليه يرجع الأول والثالث، وذكر الشاطبي جزئيات هذه المقاصد القرآنية الثلاثة الكلية، ثم أشار إلى المصدر الذي أخذ منه هذه المقاصد، وهو كتاب الغزالي (جواهر القرآن ودرره)^(١).

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/ ٢٠٤-٢٠٧).

يقول الشاطبي في كتابه (الموافقات): «والحاصل أن القرآن احتوى من هذا النوع من الفوائد والمحسن التي تقتضيها القواعد الشرعية على كثير يشهد بها شاهد الاعتبار، ويصححها نصوص الآيات والأخبار، وقسم هو المقصود الأول بالذكر، وهو الذي نبّه عليه العلماء، وعرفوه مأخوذاً من نصوص الكتاب؛ منطوقها ومفهومها، على حسب ما أدّاه اللسان العربي فيه، وذلك أنه محتوٍ من العلوم على ثلاثة أجناس هي المقصود الأول؛ أحدها: معرفة المتوجّه إليه، وهو الله المعبود سبحانه. والثاني: معرفة كيفية التوجّه إليه. والثالث: معرفة مآل العبد ليخاف الله به ويرجوه. وهذه الأجناس الثلاثة داخلّة تحت جنس واحد هو المقصود، عبّر عنه قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ فالعبادة هي المطلوب الأول، غير أنه لا يمكن إلا بمعرفة المعبود...»^(١).

وقد بيّن الشاطبي بكلامه السابق فلسفة التقسيم الثلاثي لمقاصد القرآن ومنزلة كلّ قسم وحاجته إلى الأقسام التابعة له، مما يدلّ على عدم استقلالية جميع أقسام المقاصد القرآنية عن بعضها بعضاً، وهذه الفلسفة قد ذكرها ابن تيمية في حديثه عن مقاصد القرآن وموضوعاته كما سبق^(٢).

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/ ٢٠٤-٢٠٧).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٤/ ٢٠٤-٢٠٧). وانظر أيضاً: جواب أهل العلم والإيمان، ابن تيمية، ص ١٦٩. وانظر أيضاً: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٧/ ١٣٧-١٣٨).

ويقول الشاطبي مُشيرًا لما ذكره الغزالي من مقاصد القرآن وموضوعاته بعد أن ذكر نظراته في الموضوع وخلاصة ما يرجع إليه كلام الغزالي، فقال: «وإذا تقرّر هذا، تلخّص من مجموع العلوم الحاصلة في القرآن اثنا عشر علمًا، وقد حصرها الغزالي في ستة أقسام: ثلاثة منها هي السوابق والأصول المهمّة، وثلاثة هي توابع ومتمّمة»^(١).

وخلاصة ما جاء في كلام الإمام الشاطبي هذا، هو عرضه لتقسيم الغزالي لمقاصد القرآن إلى ستة مقاصد على الجملة، وإلى عشرة مقاصد على التشعب والتفصيل. وذكر فوائد قصص القرآن وجدله وأسرارهما في القرآن، وهي: الترغيب، والترهيب، والتحذير، والإفصاح، والتثيت، والإيضاح.

وقد ذكر الشاطبي بعد ذكره المقاصد القرآنية الأساسية أن تدبّر القرآن لا يحصل إلّا عن طريق فهم مقاصد القرآن والإقبال عليها، وأنّ مَنْ أعرض عن هذه المقاصد فقد فوّت على نفسه فهم القرآن وتدبّره، فقال: «فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن؛ فلم يحصل منهم تدبّر»^(٢).

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/٢٠٤-٢٠٧).

(٢) المرجع السابق، (٤/٢٠٩).

رابعاً: مقاصد السور المكية وموضوعاتها في نظر الشاطبي:

إنَّ البحث عن مقاصد السور القرآنية نوع من أنواع التفسير المقاصدي الذي يبحث في أهداف وغايات السورة الواحدة، مع الكشف عن وجه الإفادة منها لتحقيق مصلحة العباد في العاجل والآجل، ولخدمة غايات القرآن ومقاصده الكلية والجزئية^(١).

والكشف عن مقاصد السور القرآنية يتطلب القراءة المتأنية الشاملة للسورة، والتدبر العميق في مقاطعها وأجزائها وموضوعاتها، والنظر في أهداف كل مقطع أو موضوع، ثم التأمل في النهاية لاستخلاص المقصد الأكبر من السورة، وهو -على أي حال- نوعٌ اجتهاديّ تلمّسيّ يأتي عبر مسالك وطرق للوقوف عليها، وتدور أغلبها حول التدبّر والتأمل والاستنباط، وقد برع في هذا النوع من التفسير قبل الشاطبي -الذي ذكر أغلب موضوعات السور المكية والمدنية كما سيأتي ذكرها- الإمام ابن القيم، ومن المحدثين الذين اهتموا بهذا الشيخ محمد عبد الله دراز، وسيد قطب، ومحمد الغزالي^(٢).

(١) انظر: التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم؛ في ظلال القرآن أنموذجاً، الدكتور وصفي عاشور أبو زيد، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي حول فهم القرآن بين النصّ والواقع بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر، سنة: ٢٠١٣م، ص ١٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٤.

وقد تحدّث الشاطبي عن مقاصد سور القرآن المكية وموضوعاتها، فذكر أنّ مقاصد السور المكية ثلاثة:

المقصد الأول: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق.

المقصد الثاني: تقرير نبوة محمد ﷺ، وبيان صدقه فيما جاء به من الحقّ.

المقصد الثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة بالأدلة الواضحة، والردّ على من أنكر ذلك^(١).

وذكر الشاطبي أنّ هذه المقاصد الثلاثة للسور المكية تندرج تحت مقصد أصلي واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى. وهذه المقاصد الثلاثة وما ترجع إليه من المقصد الأصلي الذي هو الدعاء إلى عبادة الله وحده، هو ما أثبتته الإمام الغزالي في كتابه الذي بسطه في مقاصد القرآن، وهو كتاب (جواهر القرآن ودرره)، وقد استفاد الشاطبي من هذا الكتاب في البحث المقاصدي القرآني، كما سبق، وكما سيأتي أيضًا إشارة الشاطبي إلى كتاب الغزالي في مقاصد القرآن وموضوعاته.

ثم يقرّر الشاطبي أنّ جميع المقاصد والموضوعات القرآنية الجزئية داخلة تحت هذه المقاصد القرآنية المكيّة الثلاثة العامة، ويضرب مثالاً لهذا بسورة المؤمنون، ويقارن بين مقصدها العام وما ورد خلاله من مقدمات وتمهيدات،

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/ ٢٦٩-٢٧٠).

فيقول: «فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزّل من القرآن بمكة في عامّة الأمر، وما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها فراجع إليها في محصول الأمر، ويتبع ذلك: الترغيب والترهيب، والأمثال، والقصص، وذكر الجنة والنار، ووصف يوم القيامة وأشباه ذلك»^(١).

وقد أطل الشاطبي في الكشف عن مقاصد سورة المؤمنون، ومهّد الطريق لمن أراد أن ينسج على نهجه وأسلوبه، واكتفى بهذا المثل عن سائر السور القرآنية المكية^(٢).

خامساً: سمة التكامل والترابط بين موضوعات ومقاصد السور المكية والمدنية:

أكّد الشاطبي أن السور المكية اشتملت على جميع كليات الشريعة ومنها الكليات الخمس أو الضروريات الخمس، وهذه الكليات الضرورية مشتملة على مقاصد القرآن الأصلية، والسور المدنية تفصيل وتقرير لهذه الكليات المقاصدية القرآنية، وأنه لا بدّ من تنزيل المدني على المكي، وأن النسخ لم يرد على الكليات مطلقاً، وإنما ورد على قليل من الجزئيات لأسباب مضبوطة، وحدّد الضابط للحدّ الأعدل الأوسط في فهم الكتاب العزيز الذي يصحّ أن يُبنى عليه اقتباس الأحكام.

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/ ٢٧٠-٢٧٤).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٤/ ٢٧٣-٢٧٤).

يقول الشاطبي: «إذا رأيت في المديّنات أصلاً كلياً فتأمله تجده جزئياً بالنسبة إلى ما هو أعمّ منه، أو تكميلاً لأصل كليّ، ويبان ذلك أنّ الأصول الكلية التي جاءت الشريعة بحفظها خمسة، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. (١) أمّا الدين؛ فهو أصل ما دعا إليه القرآن والسنة وما نشأ عنهما، وهو أول ما نزل بمكة. (٢) وأمّا النفس؛ فظاهر إنزال حفظها بمكة؛ كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩]، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٩٩]، وأشبه ذلك. (٣) وأمّا العقل، فهو وإن لم يرد تحريم ما يفسده -وهو الخمر- إلا بالمدينة؛ فقد ورد في المكيّات مجملاً؛ إذ هو داخل في حرمة حفظ النفس كسائر الأعضاء ومنافعها من السمع والبصر وغيرهما، وكذلك منافعها؛ فالعقل محفوظ شرعاً في الأصول المكية عما يزيله رأساً كسائر الأعضاء، وإنما استدرك بالمدينة حفظه عما يزيله ساعة أو لحظة. (٤) وأمّا النسل؛ فقد ورد المكي من القرآن بتحريم الزنى، والأمر بحفظ الفروج. (٥) وأمّا المال؛ فورد فيه تحريم الظلم، وأكل مال اليتيم، والإسراف، والبغي، ونقص المكيال والميزان، والفساد في الأرض، وما دار بهذا المعنى. (٦) وأمّا العرض الملحق بها؛ فداخل تحت النهي عن أذايات النفوس»^(١).

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، بتصرف يسير، (٣/ ٢٣٦-٢٤٠).

ويقول الشاطبي: «الأصول الأوّل باقية لم تتبدّل ولم تنسخ؛ لأنها في عامة الأمر كليات ضروريات وما لحق بها، وإنما وقع النسخ أو البيان على وجهه عند الأمور المتنازع فيها من الجزئيات لا الكليات. وهذا كلّ ظاهر لمن نظر في الأحكام المكية مع الأحكام المدنية، فإن الأحكام المكية مبنية على الإنصاف من النفس، وبذل المجهود في الامتثال بالنسبة إلى حقوق الله أو حقوق الآدميين. وأمّا الأحكام المدنية، فمنزلة في الغالب على وقائع لم تكن فيما تقدم من بعض المنازعات والمشاحات، والرخص والتخفيفات وتقرير العقوبات - في الجزئيات لا الكليات، فإن الكليات كانت مقرّرة محكمة بمكة-، وما أشبه ذلك، مع بقاء الكليات المكية على حالها، وذلك يؤتى بها في السور المدنية تقريراً وتأكيّداً، فكمّلت جملة الشريعة والحمد لله بالأمرين، وتمّت واسطتها بالطرفين»^(١).

سادساً: مقاصد السور المدنية وموضوعاتها في نظر الشاطبي:

تحدّث الشاطبي عن مقاصد سور القرآن المدنية وموضوعاتها كما تحدّث عن مقاصد السور المكية -كما سبق- فذكر أنّ مقاصد السور المدنية أصولها تكمن في ستة مقاصد، وهي:

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٥/ ٢٣٤-٢٣٨).

المقصد الأول: بيان أقسام أفعال المكلفين.

المقصد الثاني: بيان العبادات (قواعد الإسلام).

المقصد الثالث: بيان العادات.

المقصد الرابع: بيان المعاملات.

المقصد الخامس: بيان أحكام الجنایات.

المقصد السادس: بيان الكليات الخمس: (حفظ الدين والنفس والعقل

والنسل والمال).

وقد اتخذ الشاطبي سورتي الأنعام المكية والبقرة المدنية لبيان أنهما يقودان سائر السور القرآنية مكيها ومدنيها في بيان المقاصد القرآنية الأصلية؛ فسورة الأنعام المكية هي نقطة الانطلاق لبيان مقصد التوحيد الذي هو أعظم المقاصد القرآنية الأصلية، وسورة البقرة هي نقطة الانطلاق لبيان مقصد الأحكام بمختلف مفاهيمه الشاملة: العملية والاعتقادية والأخلاقية، وهي أيضاً متممة لمقصد التوحيد الأصلي الأعظم.

ويدعو الشاطبي في النهاية إلى البحث في مقاصد القرآن، ويبيّن أنها سرٌّ من أسرار علوم القرآن والتفسير، وبحسب معرفتها تحصل المعرفة بالقرآن^(١).

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٢٥٧/٤-٢٥٨).

سابعاً: مصطلح التفسير الظاهري والباطني وعلاقتهما بمقاصد القرآن عند الشاطبي:

وقد ذهب الشاطبي إلى أنَّ للقرآن ظاهراً وباطناً، لكنَّ لا على مفهوم (التفسير الباطني) الذي اشتهر اصطلاحه عند الصوفية؛ كالسهل المستري والقشيري وغيرهما من مفسري التفسير الباطني التصوفي، لكنه بيَّن أنَّ (التفسير الظاهري للقرآن) الذي يقابل (التفسير الباطني للقرآن) هو: فَهْمُ المعنى اللغوي لِلْفَظِ الآيَةِ، وفهم دلالة الجملة والكلام من جهة اللغة وعلوم الآلة التي يفهم بها معنى الكلام ودلالاته^(١).

وقد اتفق الشاطبي مع ابن العربي في تعريف (التفسير الظاهري للقرآن) إلَّا أنَّ ابن العربي بيَّن أنَّ (التفسير الظاهري) على ما عرّفه الغزالي والشاطبي (نسبي)، فقد تكون معرفة العلوم اللغوية والمنازع البلاغية من علوم القرآن الباطنة أيضاً^(٢).

وأما (التفسير الباطني للقرآن) كما فسّره الشاطبي وبيّنه وأوضحه بأمثلة شافية فهو: فَهْمُ مراد الله تعالى من كلامه وخطابه، أي: فَهْمُ مقاصد القرآن وتدبر معاني هذه المقاصد بأصولها وفروعها، عن طريق الفهم الصحيح للمعنى

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/ ٢١٤-٢١٧).

(٢) انظر: قانون التأويل، ابن العربي، ص ٥٣٧.

الظاهري الذي به يتوصل إلى الفهم الباطني الذي هو ثمرة الفهم الظاهري
ونَتَاجه^(١).

وأكد الشاطبي وهو يتحدث عمّا به ثبت إعجاز القرآن، وتحدّى الله به
العرب ودعاهم إلى مقابلته، أنّ فهم إعجاز القرآن هو الطريق إلى فهم مقاصده،
فقال: «...ولأنهم دُعُوا وتُحَدُّوا وقلوبهم لاهية عن معناه الباطن الذي هو
مراد الله من إنزاله، فإذا عرفوا عَجَزهم عنه؛ عرفوا صِدْقَ الآتي به وحصل
الإذعان، وهو باب التوفيق والفهم لمراد الله تعالى»^(٢).

يقول الشاطبي في إثبات كون القرآن له التفسير الظاهري والباطني، وتعريفه
لهما: «وحاصل هذا الكلام أن المراد بالظاهر هو المفهوم العربي، والباطن هو
مراد الله تعالى من كلامه وخطابه، فإن كان مراد مَنْ أطلق هذه العبارة ما فُسِّرَ؛
فصحيح ولا نزاع فيه، وإن أرادوا غير ذلك، فهو إثبات أمر زائد على ما كان
معلومًا عند الصحابة ومَنْ بعدهم؛ فلا بد من دليل قطعي يثبت هذه
الدعوى»^(٣).

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/ ٢١٤).

(٢) المرجع السابق، (٤/ ٢١٧).

(٣) المرجع السابق، (٤/ ٢١٠).

وكأن الشاطبي يقصد أن مقاصد القرآن خفية وليست ظاهرة لكل أحد، ولا تظهر إلا لمن تدبر القرآن وتلمس فهم معانيه؛ فبذلك يدرك مجموع مقاصده وغايات خطابه، وهذا هو الحق؛ لأن القرآن سر الله، لا يفهمه إلا من أعطاه قدماً راسخاً في العلم، وفهماً ثاقباً في التدبر؛ ولهذا البيان أمثلة كثيرة يطول ذكرها، وقد ذكر بعضها الشاطبي في المبحث الذي أشرت إليه قبل قليل.

ثامناً: منزلة علم مقاصد القرآن بين العلوم المتعلقة بالقرآن عند الشاطبي:

ذكر الشاطبي العلوم التي تساعد على فهم القرآن وفهم مقاصده فقسمها إلى أربعة علوم، وهي:

القسم الأول: العلوم المعينة التي هي كالوسائل على فهم القرآن:

فالعلوم من هذا القسم كما ذكرها الشاطبي هي العلوم التي تكون وسيلة إلى فهم القرآن، وفهم مقاصده؛ كعلوم اللغة العربية التي لا بد منها، وعلم القراءات، والناسخ والمنسوخ، وقواعد أصول الفقه، وما أشبه ذلك^(١).

القسم الثاني: علم إعجاز القرآن:

وهذا القسم من هذه العلوم المضافة إلى القرآن، ليس من علوم مقاصد القرآن، وإنما هو علم لبيان معجزة كلام الله تعالى الذي لم يأت به بشر أو

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/١٩٨).

مخلوق آخر غيره، وهذا العلم - أعني علم إعجاز القرآن - المقصود به هو دلالة صدق الرسول ﷺ وكون ما جاء به كلام الله لا كلام غيره. وذهب الشاطبي أنه من مباحث علم الكلام، وليس من مباحث علوم القرآن أو مقاصد القرآن^(١).

القسم الثالث: علم أساليب القرآن أو علم بلاغة القرآن:

وهذا القسم هو العلم الذي يبحث عن أساليب الخطاب القرآني في بلاغته ومحاسنه الأدبية وقواعده الأصلية الشرعية والكلية، وهو أيضاً من العلوم المساعدة على فهم مراد الله تعالى بكتابه - كما ذكر الشاطبي -، والنظر في هذا القسم - كما قال الشاطبي - خارج عما تضمّنه القرآن من العلوم. ولا يعني الشاطبي أن أساليب القرآن والقواعد الكلية الموجودة فيه ليست من علوم القرآن، وإنما يقصد بعلوم القرآن مقاصده، أي: ليس كلّ علم من العلوم المتعلقة بالقرآن هي من علوم مقاصد القرآن^(٢).

القسم الرابع: علم مقاصد القرآن:

والقسم الرابع هو العلم المقصود بالقرآن، وهي مقاصده وموضوعاته التي بها ينجو البشر من العذاب، ويفوزون بالجنات والنعيم والغفران، وقد فصل

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (٤/ ١٩٩).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٤/ ٢٠٠).

الحديث عنها الشاطبي وبيّن الجهود التي بذلها الإمام الغزالي في هذه العلوم
القرآنية المقاصدية، وهي المقاصد الثلاثة التي ذكرها الباحث في مبحث مقاصد
القرآن عند الشاطبي^(١).

(١) الموافقات، الشاطبي، (٤/١٩٨-٢٠٥).

المطلب الحادي عشر: جهود الإمام إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ):

أولاً: الإمام البقاعي واستخدامه لمصطلح (مقاصد القرآن) والمصطلحات المشابهة به:

استخدم الإمام البقاعي مصطلح (مقاصد القرآن)، وذلك عندما قال وهو يبين أن تقديم بعض الألفاظ وتأخيرها في أماكن مختلفة من القرآن ليس بسبب السجع، يقول الإمام البقاعي: «وقد بينت في كتابي (نظم الدرر) أن الأمر على غير هذا، وأن مقصد القرآن مما هو في العلو عن هذا الغرض بمراتب لا تنالها يد المتناول، ويقصر عن عليائها كل متناول، وذلك أن كل سورة لها مقصد معين - كما سيوضحه هذا الكتاب إن شاء الله تعالى - تكون جميع جمل تلك السورة دليلاً على ذلك المقصد»^(١).

وتسمية البقاعي كتابه بـ(مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور) هو إشهار لمصطلح (مقاصد القرآن ومقاصد سوره)، مع أن الفيروزآبادي قد سبقه إلى استخدام مصطلح (مقاصد القرآن) حينما ألف كتاباً في التفسير وعلوم القرآن وسمّاه بـ(الدر النظيم في مقاصد القرآن الكريم).

(١) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (١/ ١٨٢).

واستخدم البقاعي أيضًا في التعبير عن (مقاصد القرآن) مصطلحًا آخر شبيهًا به وهو مصطلح (معاني القرآن)، كما قال عن سورة الفاتحة بأنها جمعت جميع (معاني القرآن)، أي: مقاصده: «فلا سورة في القرآن أعظم من الفاتحة؛ لأنه لا مقصود أعظم من مقصودها، وهي جامعة لجميع معاني القرآن»^(١).

وكذلك ظهر مصطلح (علوم القرآن) عند البقاعي الذي يرادف مصطلح مقاصد القرآن - عند بعض العلماء - كما سيأتي في النصوص القادمة.

ثانيًا: مقاصد القرآن عند الإمام البقاعي:

ذهب البقاعي إلى أن المقصود بالقرآن: «تعريف الخلق بالمَلِكِ وبما يُرضيه»^(٢)، فيقول: «والمقصود من نصب الشرائع جمعُ الخلق على الحق، والمقصود من جمعهم تعريفهم المَلِكِ وبما يرضيه، وهو مقصود القرآن الذي انتظمته الفاتحة بالقصد الأول، ولن يكون ذلك إلا بما ذكر علمًا وعملاً»^(٣).

ومرة أخرى نرى الإمام البقاعي يحصر مقاصد القرآن في ثلاثة أشياء، وهي: ١ - بيان العقائد. ٢ - الأحكام. ٣ - القصص. وهذه المقاصد القرآنية

(١) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (١/ ٢١٠).

(٢) المرجع السابق، (١/ ٢١٠).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (١/ ٢٢).

الثلاثة أخذها البقاعي من الإمام البيضاوي، فهو الذي ذكر هذه الثلاثة كما سبق في عرض جهوده في مقاصد القرآن.

إلا أن الإمام البقاعي أشار إلى أن مقصد (التوحيد) الذي يمثله التعريف بذاته - سبحانه وتعالى - وصفاته وأسمائه وكيفية صدور الأفعال عنه، هو أم المقاصد القرآنية ورأسها، وإليه ترجع جميع المقاصد القرآنية الأصلية والتبعية^(١).

ثالثاً: فضل السورة يكون بفضل مقصدها في نظر الإمام البقاعي:

ومما قرّره البقاعي في فقه مقاصد السور أن فضل السورة يعظم بفضل مقصدها، ومثل البقاعي لذلك بسورة الفاتحة، فإنه قال في الحديث عنها: «وعلى قدر المقصود من كلّ سورة تكون عظمتها، ويُعرف ذلك مما ورد في فضائلها ويُؤخذ من ذلك أسماؤها، ويدلّ على فضلها كثرتها، فلا سورة في القرآن أعظم من الفاتحة؛ لأنه لا مقصود أعظم من مقصودها، وهي جامعة لجميع معاني القرآن، ولا يلزم من ذلك اتحاد مقصودها مع مقصوده بالذات، وإن توافقا في المآل، فإنه فرّق بين الشيء وبين ما جمع ذلك الشيء؛ فمقصود القرآن تعريف الخلق بالملك وبما يرضيه، ومقصود الفاتحة غاية ذلك؛ لكونها

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٨/ ٥٨٣).

غاية له، وذلك هو المراقبة المذكورة المستفادة من التزام ذكره تعالى في كل حركة وسكون؛ لا اعتقاد أنه لا يكون شيء إلا به، وعلى جلاله هذا المقصد جاءت فضائلها»^(١).

رابعاً: بيان البقاعي للعلاقة بين علم مقاصد السور وعلم المناسبات:

لقد حاول الإمام البقاعي أن يؤسس لعلم المناسبات بين الآيات القرآنية داخل سورة واحدة قاعدةً يسير عليها من يريد معرفة تلك المناسبات، وهذه القاعدة ما هي إلا أن يقوم القارئ لأي سورة قرآنية بالبحث عن غرض تلك السورة، أي: مقصدها العام، ثم يطلب هذا الغرض أو المقصد في ثنايا آياتها، فسوف تظهر له تلك العلاقة والمناسبة التي يطلبها. فالإمام البقاعي بهذا قد بين العلاقة التي بين علم مقاصد القرآن وعلم مناسبات السور والآيات^(٢).

ولم يقف الإمام البقاعي عند بيان العلاقة بين مقصد السورة وعلم المناسبات، بل جاوز ذلك إلى بيان العلاقة بين اسم السورة وبين مقصدها، أي: بيان المناسبة بين تسمية السورة وبين مقصدها، وقد دلَّ على هذه المعرفة القاعدة التي سبق له أن أسَّسها، وهي أن الآيات لها علاقة مناسبة بينها وبين مقصد السورة، وكذلك اسم السورة له علاقة بمقصدها العام^(٣).

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (١/ ٢١٠).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام البقاعي، (١/ ١١).

(٣) انظر: المرجع السابق، (١/ ١١-١٢).

خامساً: موقف البقاعي من التفسير الظاهري والباطني وشرحه للحديث الوارد فيهما:

عقد الإمام البقاعي فصلاً في كتابه: (مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور) لشرح الأثر المروي عن الحسن البصري أن: «لكل آية ظهر وبطن وحدّ ومطلع»، فذكر من أخرج الحديث من أصحاب كتب السّنة، وهم: الطبراني، وأبو يعلى، والبزار، وابن حبان في صحيحه، والطبري في تفسيره، وذكر أيضاً أن ذكر الظهر والبطن للقرآن روي من أوجه كثيرة^(١).

ووقوف البقاعي مع هذا الحديث وشرحه له ما هو إلا متابعة للعلماء الذين سبقوه في الحديث عن هذا الأمر، وبيان علاقته بفهم القرآن ومقاصده، ولا يغيب عن ذهن قارئ أسطر هذا البحث كثرة تناول العلماء الذين تحدثوا عن مقاصد القرآن للتفسير الظاهري والباطني للقرآن، وبيان علاقتهما بمقاصد القرآن، حتى اعتبر الإمام الغزالي والشاطبي التفسير الباطني -بمعناه الذي شرحناه عندهما لا بمعناه عند الباطنية- هو عين علم مقاصد القرآن واستنباطه.

(١) انظر: مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (١/ ٣٧٢).

وقد شرح البقاعي ألفاظ الحديث والأثر الوارد في ظاهر القرآن وباطنه، وهي: (الظهر)، و(البطن)، و(الحدّ)، و(المطلع). وأكتفي بإيراد شرح لفظ (الظهر) ولفظ (البطن)؛ لأنّهما المقصود بهذا البحث.

ذكر البقاعي ثلاثة أقوال في المراد بظهر القرآن وبطنه، وهي:

القول الأول: ذكر البقاعي عن الحسن أنّ الظهر هو الظاهر، والبطن هو السّرّ، مأخوذ من قول الجاهلية: «ضربتُ أمري ظهرًا لبطن»^(١).

القول الثاني: الظهر: لفظ القرآن، والبطن: تأويله. وهذا قول ابن جرير الطبري، كما سبق عنه.

القول الثالث: وهو الذي رجّحه البقاعي ونصره وشرّحه أكثر من القولين السابقين، فقال: «وفيه قول ثالث - وهو عندي أشبه الأقاويل بالصواب - وذلك: أنّ الله تعالى قد قصّ أنباء القرون الظالمة، فأخبر بذنوبهم وما عاقبهم به، فهذا هو الظهر، إنّما هو حديث حدّثك به عن قوم، فهو في الظاهر خبر؛ وأمّا الباطن منه: فإنه صير ذلك الخبر عِظَةً لك، وتحذيرًا وتنبهًا أن تفعل فعلهم، فيحلّ بك ما حلّ بهم»^(٢).

(١) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (١/ ٣٧٣).

(٢) المرجع السابق، (١/ ٣٧٥).

ويبدو من اختيار الإمام البقاعي للقول الثالث في تفسير الظاهر والباطن أنه يرى أن فهم مقاصد القرآن ومعانيه من علم باطن القرآن الذي هو ضد ظاهره، وهذا هو عين ما أكده الغزالي في كتابه: (جواهر القرآن ودرره) كما سبق. وهو أيضًا نفس ما أكده الشاطبي في (الموافقات)، كما سبق تحليل ذلك في المبحث المتعلق بظاهر القرآن وباطنه عند الشاطبي.

سادسًا: اشتمال الفاتحة على جميع مقاصد القرآن في نظر البقاعي:

يرى الإمام البقاعي أن فاتحة الكتاب جمعت جميع مقاصد القرآن، وما من شيء من مقاصد القرآن إلا وهو تابع لمقاصد الفاتحة، وأكد البقاعي أن مقاصد القرآن الستة التي ذكرها الغزالي قد اشتملت الفاتحة على جميعها، يقول البقاعي: «ولعبد بن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (فاتحة الكتاب تعدل بثلاثي القرآن)، ولا يشكل هذا الحديث بالأحاديث المسمّية لها أم القرآن، وأم الكتاب؛ لأنها اشتملت على جميع مقاصده، بحيث إنه ما من شيء من مقاصده إلا وهو تابع لها، فهي له أصل، كما قاله العلماء. فإن مقاصده - كما ذكر الإمام حجة الإسلام الغزالي - ستة: ثلاثة مُهمّة وثلاثة مُتِمّة...»^(١).

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (١/٤٧٣).

وذكر البقاعي أن اشتمال الفاتحة على جميع مقاصد القرآن هو بالتضمّن والالتزام وليس بالمطابقة والتصريح، يقول البقاعي: «قال الإمام ناصر الدين بن الميلىق: دلالات القرآن الكريم، إمّا أن تكون بالمطابقة، أو بالتضمّن، أو بالالتزام. وهذه السورة تدلّ على جميع مقاصد القرآن بالتضمّن والالتزام، ولا تدلّ على جميعها بالمطابقة؛ والاثنان من الثلاثة: ثلثان. وأيضًا: الحقوق ثلاثة: حقّ الله على عباده، وحقّ العباد على الله، وحقّ بعض العباد على بعض. وقد اشتملت الفاتحة -صريحًا- على الحقّين الأوّلين؛ فناسب كونها بصريحها ثلثين. وحديث: (قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)، شاهد لذلك، والله أعلم»^(١).

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (١/ ٤٧٥).

الخاتمة:

وفي نهاية اشتغال الباحث بجهود العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن وموضوعاته يذكر أهم نتائج البحث وخلاصته، ويوصي ببعض التوصيات، ويمهّد للبحث الثاني الذي يأتي بعد هذا البحث، وهو جهود العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري.

وفيما يأتي عرضُ أهم نتائج هذا البحث:

١. إنَّ محاولة الكشف عن مقاصد القرآن قديمة؛ بدأت من القرن الأول الهجري على يدي التابعيِّ الجليل أبي إدريس الخولاني، عائذ بن عبد الله، المتوفى سنة: ٨٠هـ.

٢. إنَّ الاهتمام ببيان مقاصد القرآن وأقسامه بدأ في كتب السُّنة النبوية التي رَوَتْ لنا الأحاديث التي تبين أقسام وأنواع مقاصد القرآن؛ كالأحاديث المروية في فضل سورة الفاتحة، وأنها اشتملت على جميع مقاصد الكتب الإلهية، وأنَّ الله لم يُنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، وكالتي تبين فضل سورة الإخلاص وأنها تعدل ثلث القرآن، أو التي تبين فضل سورة الزلزلة وأنها تعدل نصف القرآن، أو التي تبين فضل سورة الكافرون وأنها تعدل ربع القرآن، وغير ذلك من الأحاديث والآثار المروية في بيان فضائل بعض السور والآيات التي اشتملت على مقاصد القرآن.

٣. لقد أسهم المفسرون -بقيامهم بتحليل تلك الأحاديث المروية- في بيان أنواع وأقسام مقاصد القرآن، وزادوا على ما ورد فيها -عن طريق الاستنباط والاجتهاد- مقاصد جديدة، وعلى رأسهم الإمام ابن جرير الطبري، وأبو بكر ابن العربي، وابن برّجان الإشبيلي، وفخر الدين الرازي، والإمام البيضاوي، وابن جزي الكلبي، والإمام البقاعي.

٤. لقد أسهم غير المفسرين في علم مقاصد القرآن، في مؤلفات غلب فيها مناقشة مسائل علم العقيدة والبلاغة وأصول الفقه وعلوم القرآن وغيرها، ومن هؤلاء العلماء: الإمام الغزالي، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي.

٥. إن القرن الخامس الهجري -كما هو المعروف- عصر ازدهار العلوم الإسلامية، فإن من تلك العلوم: علم مقاصد القرآن؛ فقد تصدّى الإمام الغزالي وابن برّجان لتوسيع البحث في مقاصد القرآن، بعد المحاولة الضيقة في القرن الأول الهجري والثالث الهجري على يد أبي إدريس الخولاني وأبي العباس بن سريج.

٦. يمثل القرن الثامن الهجري عصر مناقشة جهود السابقين في مقاصد القرآن، وإعادة النظر في عدد المقاصد، ودمج بعضها إلى بعض، وقد قام بذلك

عالمان شهيران عُرِفَا بالتحقيق والغوص في العلوم الإسلامية، وهما: شيخ الإسلام ابن تيمية، وأبو إسحاق الشاطبي.

٧. هناك مقاصد قرآنية وقع شبه الاتفاق عليها بين علماء المقاصد، وهي: التوحيد والمعاد والأحكام أو التكليف، وهناك مقاصد أخرى اختلف العلماء فيها؛ هل هي مقاصد قرآنية أو هي وسائل إلى تلك المقاصد المتفق عليها، مثل مقاصد: النبوة، والقصص، والأمثال. فابن تيمية نفى أن يكون مقصداً النبوة والقصص من مقاصد القرآن، بل اعتبرهما من تمام الأدلة على الأصول الإيمانية، ويمكن إدخال مقصد النبوة في مقصد التوحيد أو الإلهيات، ومقصد القصص يدخل في باب العبرة والموعظة والترغيب والترهيب على المقاصد المتفق عليها.

وأما التوصيات التي أريد أن أوصي بها بعد تجربتي في الاشتغال بهذا الموضوع، فهي:

١. إعداد موسوعة التفسير الموضوعي للمقاصد القرآنية، يتم من خلالها الاستفادة من جهود العلماء في ذكر أنواع وأقسام مقاصد القرآن، ويقوم بإعداد تلك الموسوعة باحثون مختصون في التفسير الموضوعي وأصول التفسير وعلوم القرآن وعلم مقاصد القرآن.

٢. توسيع البحث في جهود العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن حتى يستغرق جميع كتب التفسير وعلوم القرآن، بحيث تظهر جهود أخرى مخفية لم ترد في هذا البحث أو غيره من البحوث التي تحدثت عن هذا الموضوع.

٣. إعداد بحث يستعرض المؤلفات التي اهتمت بعلم مقاصد القرآن ومناهج أصحابها في الحديث عن مقاصد القرآن، بغض النظر عن انتماء هذه المؤلفات من حيث التصنيف العلمي الموضوعي، فيشمل كتب التفسير والحديث والبلاغة وعلوم القرآن والعقيدة وأصول الفقه ومقاصد الشريعة، ويعرّف بمؤلفي هذه الكتب وموضوعات كتبهم وسبب اهتمامهم بالمقاصد.

وكما أشار الباحث في مقدمة هذا البحث أنّ هناك علماء آخرين لهم جهود في مقاصد القرآن غير من سبق عرض جهودهم، إلا أنّ الباحث سيتحدث عن جهودهم في بحث خاص؛ وذلك للتمايز الذي ظهر بين جهودهم وجهود من تحدثنا عنهم، وذلك لاختلاف الزمن وتطور البحث في علم المقاصد، مما جعل الباحث يفرّق بين الباحثين ويجعل لكل بحث رجاله وأعلامه. ورجال البحث الثاني وأعلامه، هم: ولي الله الدهلوي، والإمام الشوكاني، والعلامة عبد الله بن فودي، وسيد قطب، ومحمد قطب، وابن عاشور، ومحمد الغزالي.

فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب المطبوعة:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض: مكتبة المعارف، ط ١، سنة: ١-٤:
- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج ٦: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ج ٧: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح المختصر، بيروت: دار ابن كثير، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، ط ٣، سنة: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ابن برّجان، عبد السلام بن عبد الرحمن، تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم (تفسير ابن برّجان)، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، بدون تاريخ.

- البقاعي، إبراهيم بن عمر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط ١، الرياض: مكتبة المعارف، سنة: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، سنة: ١٤١٨هـ.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سنة: ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- التهانوي، محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: الدكتور علي دحروج، ط ١، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، سنة: ١٩٩٦م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن، تحقيق: أبو عمر الندوي وعبد العزيز بن فتحي بن السيد، ط ١، الرياض: دار القاسم للنشر، سنة: ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ط ١، سنة: ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن جزي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط ١، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، سنة: ١٤١٦هـ.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطا، ط ٤، بيروت: دار العلم للملايين، سنة: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- حقي، محمد صفاء، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري، ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- حيدر، حازم سعيد (الدكتور)، علوم القرآن بين البرهان والإتقان، المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان، سنة: ١٤٢٠هـ.

- الداودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

- الدهلوي، ولي الله، الفوز الكبير في أصول التفسير، أحمد بن عبد الرحيم، تعريب: سلمان الحسن الندوي، ط ٢، القاهرة: دار الصحوة، سنة: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

- الرازي، محمد بن عمر فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، سنة: ١٤٢٠هـ.

- الريسوني، أحمد، (الأستاذ الدكتور)، الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، ط ١، جدة: المملكة العربية السعودية، دار ابن حزم، سنة: ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

- الريسوني، أحمد، (الأستاذ الدكتور)، نظرية المقاصد عند الشاطبي، ط ٢، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، سنة: ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

- الزبيري، علي محمد، ابن جزري ومنهجه في التفسير، ط ١، دمشق: دار القلم، سنة: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط ١، د.ت.

- الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ط ١٢، سنة: ٢٠٠٢ م.

- السمعاني، عبد الكريم بن محمد، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وآخرون، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، بدون تاريخ.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، أسرار ترتيب سور القرآن، تحقيق: رضا فرج الهمامي، ط ١، بيروت: المكتبة العصرية، سنة: ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.

- الشاطبي، أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن الحسن، ط ١، دار ابن عفان، سنة: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١: سنة: ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، سنة: ١٤١٥هـ / ١٤٩٤م.
- الطيار، مساعد بن سليمان (الأستاذ الدكتور)، شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، ط ١، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، سنة: ١٤٣١هـ.
- الطيار، مساعد بن سليمان (الأستاذ الدكتور)، المحرر في علوم القرآن، ط ٢، جدة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، سنة: ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، سنة: ١٩٨٤م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سنة: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- عبد الله الخطيب (الأستاذ الدكتور)، مقاصد القرآن الكريم وأهميتها في تحديد الموضوع القرآني؛ دراسة نصية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم، جامعة الشارقة، بحث بدون معلومات النشر.

- ابن العربي المعافري، أبو بكر محمد بن عبد الله، قانون التأويل، دراسة وتحقيق: محمد السليمان، ط ١، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، سنة: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- العزُّ بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، القاهرة: دار البيان العربي، ط ١، سنة: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٢م.
- العزُّ بن عبد السلام، بُد من مقاصد الكتاب العزيز، تحقيق: أيمن عبد الرزاق الشَّور، ط ١، دمشق: مطبعة الشام، سنة: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- العلامة المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ط ١، سنة: ١٣٨٥هـ، طهران: مركز نشر آثار العلامة المصطفوي.
- الغزالي، محمد بن محمد، جواهر القرآن ودرره، تحقيق: الشيخ محمد رشيد رضا القباني، ط ٢، سنة: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، بيروت: دار إحياء العلوم.
- الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
- ابن فارس، أحمد بن فارس، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: اتحاد كتاب العرب، سنة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- فارس، طارق بن أحمد بن علي، علوم القرآن عند الإمام ابن جزي الكلبي وأثرها في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم البغدادي، ط ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، سنة: ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط ٢٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط ٢، الدمام: دار ابن القيم، سنة: ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ط ٢، بيروت: دار المعرفة، سنة: ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الصلاة وأحكام تاركها، المدينة المنورة: مكتبة الثقافة، بدون تاريخ.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ط ١، الرياض: دار العاصمة، سنة: ١٤٠٨ هـ.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أسرار الصلاة، تحقيق: أبو عبد الله الهمام الجزائري، بدون معلومات النشر.
- محمد قطب، دراسات قرآنية، ط ٧، القاهرة: دار الشروق، سنة: ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- محمد صفا إبراهيم حقي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري، ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر: دار السعادة؛ وبيروت: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٠٩ هـ.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة، بدون تاريخ.

ثانيًا: المجالات العلمية وأبحاث المؤتمرات:

- (أساسيات منهجية للتفسير الموضوعي)، محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي، مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (واقع وآفاق)، جامعة الشارقة، سنة: ٢٠١٠م.
- (جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم)، الدكتور مسعود بو دوخة، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه.
- (جهود الأمة في مقاصد القرآن الكريم)، الأستاذ الدكتور أحمد الريسوني، مؤتمر جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه.
- (التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم؛ في ظلال القرآن أنموذجًا)، الدكتور وصفي عاشور أبو زيد، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي حول فهم القرآن بين النصّ والواقع، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر، سنة: ٢٠١٣م.
- (جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم)، الدكتور مسعود بو دوخة، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه - جهود العلماء في مقاصد الشريعة-.

- (خطاب التكليف من ضيق مقاصد الشريعة إلى سعة مقاصد القرآن)،
الدكتور حسن القصاب، إسلامية المعرفة مجلة الفكر الإسلامي المعاصر،
عدد خاص عن مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران، السنة
الثالثة والعشرون، سنة: ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م، العدد ٨٩، ص ١٨.
- (مقاصد القرآن ومحاوره عند المتقدمين والمتأخرين)، عيسى بو عكاز،
مجلة الإحياء، العدد: ٢٠ / ٢٠١٧ م.
- (مقاصد القرآن عند الشاطبي؛ دراسة تأصيلية)، الدكتور مراد بلخير،
مجلة المعيار، المجلد: ٢٣، العدد: ٤٦، سنة: ٢٠١٩ م.

